خطب منبرية

للدكتور عباس الجراري

مواضيع فكرية وقضايا فنية

خطب منبرية
للدكتور عباس الجراري

مواضيع فكرية وقضايا فنية

إعداد: عبد الواحد العمراني

تصدير ومراجعة: الدكتورة ربيعة بنويس

منشورات النادي الجراري -103-

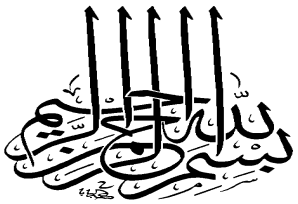

الكتاب	:	خطب منبرية للدكتور عباس الجراري مواضيع فكرية وقضايا فنية
إعداد	:	عبد الواحد العمراني
تصدير ومراجعة	:	الدكتورة ربيعة بنويس
الناشر	:	منشورات النادي الجراري - 103-
الحقوق	:	محفوظة للناشر
الإيداع القانوني	:	2021MO2291
ردمك	:	978-9920-558-03-7
الطبعة الأولى	:	1442هـ - 2021م
مطبعة	:	Edition Dar Assalam - Rabat

إهداء

إلى عميد الأدب المغربي،
الدكتور الخطيب عباس الجراري.

شكر خاص

• إلى أستاذتي الكريمة، الدكتورة ربيعة بنويس، شكرا على اهتمامك وإخلاصك، تقبل الله رعايتك للعلم وطلابه، وأدام عليك العافية والمسرة.

• إلى أساتذتي في ماستر: مكونات الأدب العربي بالمغرب الحديث والمعاصر، متعكم الله بالصحة والعافية.

جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، بمناسبة تعيين الجراري
خطيبا في مسجد للا سكينة بالرباط، في رمضان 1409،موافق ماي 1989.

الدكتور عباس الجراري خطيبا في مسجد للا سكينة بالرباط.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير
الدكتورة: ربيعة بنويس[1]

الخطابة من الموضوعات التعبيرية التي ارتبطت بالإنسان منذ القديم، استعملها الأنبياء في دعوتهم إلى طاعة الله وتوسل بها الدعاة في نشر أفكارهم وقناعاتهم، وقد رافقت الإسلام منذ ظهوره، اعتمدها الرسول صلى الله عليه وسلم في مختلف المناسبات من أجل نشر مبادئ الدين الإسلامي، فرافقت المسلمين في حروبهم ضد الكفار والنصارى، وفي فتوحاتهم التي امتدت شرقا وغربا، مما ساعد على ازدهارها وانتشارها، خصوصا وأنها كانت تعمل على تنوير العقول وتبعد عنها غشاوتها، وتستنهض الهمم لمواجهة الكفر والظلم، ولعل خطبة طارق ابن زياد، التي أسالت الكثير من المداد، بين ناكر صدورها عنه ومدافع عن سرعة انتشار الإسلام واللغة العربية ببلاد المغرب، خير دليل على ذلك، ويمكن أن نعتبرها من أول الخطب المغربية باللغة العربية.

ولسنا هنا بصدد تتبع الخطبة وتطورها عبر العصور، وإنما هدفنا تناول الخطبة عند علم من أعلام الأدب والفكر المغربيين عموما، له أفضال كثيرة على البحث العلمي الأكاديمي المغربي، من خلال أبحاثه الكثيرة ومؤلفاته المتنوعة التي تعددت موضوعاتها وازدهرت بعمق القضايا المتناولة فيها، فمن قضايا الأدب إلى قضايا السياسة والدين، فموضوعات التراث والهوية، إلى قضايا الثقافة، كما ساهم بشكل كبير في تشجيع الباحثين من خلال الإشراف على

[1]. أستاذة التعليم العالي بكلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

أعمالهم، وطبع أبحاثهم وإخراجها من العدم إلى الوجود، ومنه هذا الكتاب الذي اهتم فيه صاحبه، الباحث الطموح، عبد الواحد العمراني، بالخطب المنبرية للدكتور عباس الجراري، من خلال دراسة مواضيعها الفكرية وقضاياها الفنية.

وموضوع الخطبة عند عباس الجراري جاء بتكليف من صاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني، لما عهده عند الرجل من قوة شكيمة وشدة بأس وذكاء أخاذ وملكة تعبيرية عالية وقوة إقناع، فما كان من الدكتور عباس الجراري إلا الاستجابة لهذه الرغبة المولوية، التي استطاع من خلالها تنوير العقول ورفع الغشاوة عن العيون بواسطة ما ورد في خطبه المؤثرة التي تنوعت في مضامينها وفي أساليبها؛ ولعل تلك الخطب وما جاء فيها من موضوعات تجمع بين ما هو ديني وما هو فكري وثقافي، هي التي أوحت لعميد الأدب المغربي، بل لعميد الفكر المغربي إذا جاز التعبير، مجموعة من الموضوعات التي اتخذت من القيم محورا لها، تلك القيم هي أساس النهوض الحضاري للعالم الإسلامي عموما وللمجتمع المغربي بوجه خاص، والتي لا يفصلها عن الدين يقول:

"والحديث عن الدين يقود إلى مسألة القيم التي تعد في المنظور الإسلامي مرتبطة به، إذ يوجه السلوك وفق قواعد تجعل الإنسان يعيش وجوده الاجتماعي بأخلاق معروفة لها دلالاتها عل مستوى الأفراد والمجتمعات. ومن المؤكد أن خلف هذه الحقيقة يكمن التعارض الذي يشعر به المسلمون في سلوكهم اليوم، بين تلك القواعد وما غدا، للأسف، شائعا يفرض نفسه على الأجيال،

من ممارسات توصف عن حق بأنها لا أخلاقية، أو أنها منافية للشرع وللتقاليد المؤسسة عليه"[1].

من هنا يتبين أن الخطاب الديني عند الدكتور عباس الجراري يمتح من النصوص الدينية المختلفة من قرآن وسنة، ومن الواقع الاجتماعي وملابساته، ومن الظروف السياسية والاقتصادية التي يعيشها الوطن، ومن القضايا الوطنية والقومية، وهي نفسها القضايا التي تناولها في الكثير من مؤلفاته، وأفرد لها مساحات شاسعة من اهتمامه؛ فإذا قال في إحدى خطبه التي يحض فيها على حماية البيئة من التلوث: "وانتبهوا قليلا –أيها الإخوة المؤمنون– إننا في هذه السنوات وفي هذه العهود التي أصبحنا نعيش فيها مظاهر الحضارة المادية والتقدم الصناعي، أصبحنا نعيش هذا التلوث الذي يصيب البيئة في مظاهر مختلفة.

بعض التلوث يأتينا من الآخرين .. وهناك التلوث الذي نصنعه، نحن بأيدينا نقطع الأشجار، نحن نلغي المساحات الخضراء لإقامة المباني والعمارات الشاهقة، نحن نؤسس المصانع داخل المدن فنلوث الهواء ونلوث الجو، ونفسد هذه المدن، نحن نستعمل السيارات الفاسدة والتي تلقي الغازات داخل الأحياء وداخل الشوارع، أكثر من هذا نحن نلقي الأزبال في الأزقة.."[2].

---

[1]. حاجة الفكر العربي الإسلامي إلى حداثة أصيلة، د. عباس الجراري، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2017، منشورات النادي الجراري رقم 74، ص22.

[2]. خطبة "البيئة والتلوث"، "خطب منبرية"، د. عباس الجراري، جمع وتفريغ وتحقيق: إلهام المتمسك، مطبعة ردمك، 2014، منشورات النادي الجراري، رقم 60، ج2/ ص260.

فإنه في كتابه "منظور الإسلام إلى البيئة"، يقول: "لقد أصبح التلوث في طليعة قضايا العصر، بل في مقدمة المشكلات التي تهدد حياة الإنسان، وذلكم بسبب عدة عوامل منها:

أولا: التقدم التكنولوجي وما له من تأثير على كل مظاهر الطبيعة بلا استثناء؛

ثانيا: تلويث المدن وأحيائها بعوامل متعددة تتولد عنها في الغالب جراثيم تنشأ عنها أمراض لم تكن معهودة"[1].

من هنا نلاحظ أن الكثير من القضايا التي تناولها الجراري في خطبه، أفرد لها مؤلفات بكاملها، وذلك لأهميتها ودورها في النهوض الحضاري للمغرب، ففي البيئة على سبيل المثال وجدنا له "أهمية الماء في منظور الإسلام" و"منظور الإسلام إلى البيئة وعلمها: الإيكولوجيا"، وفي الدعوة إلى الحفاظ على الهوية الوطنية وأهمية اللغة والدين في ترسيخها[2]، وجدنا له كتاب "من قضايا الهوية الوطنية"، وفي الحديث عن الإسلام وإبراز خصائصه ومميزاته، وكما أفرد لذلك الكثير من خطبه، ألف مجموعة من المؤلفات التي تنصفه ضد ادعاءات العولمة والتيارات المتطرفة، منها: "المسؤولية في الإسلام" و"الإسلام واللائكية" و"الدولة في الإسلام" و"لا تطرف ولا إرهاب في الإسلام" و"حاجة الفكر العربي الإسلامي إلى حداثة أصيلة".

---

[1]. منظور الإسلام إلى البيئة وعلمها: الإيكولوجيا، مطبعة الأمنية، الرباط، 2011 منشورات النادي الجراري رقم 51، ص26-27.

[2]. خطبة الدين واللغة أهم مكونات الهوية، خطب منبرية، ج2، ص103-104.

لذلك لا يمكننا القراءة في مضامين خطب الدكتور عباس الجراري دون الرجوع إلى مؤلفاته الكثيرة التي لاقت اهتماما كبيرا من قبل الدارسين والمهتمين، فكثرت بذلك الدراسات حولها، ولا أدل على ذلك من الندوة التي نظمتها منظمة المجتمع المدني الدولية لقيم المواطنة والتنمية والحوار وجمعية رباط الفتح للتنمية المستديمة، تحت شعار "قيم النهوض الحضاري للعالم الإسلامي من خلال آثار الدكتور عباس الجراري"، والتي كانت مناسبة لتدارس مجموعة من قضايا السياسة والدين والهوية والقيم والتراث، وهي قضايا حفلت بها الخطب المنبرية التي هي أساس هذه الدراسة التي أقدم لها، بل تلك القضايا هي أساس المشروع الحضاري التنموي الكبير الذي يسعى المفكر الجراري لتحقيقه.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أقول إن فكر الدكتور عباس الجراري غزير لا ينضب، وفي تدارسه متعة وزاد معرفي لا ينتهي، إنه الأديب الناقد، والسياسي المحنك، والخطيب العالم، نفعنا الله بعلمه، وجعله في ميزان حسناته، وبارك في عمره.

القنيطرة في 20/ 2021/04

مقدمة

خطبة الجمعة في المغرب، خطاب له حضور وازن، إذ يعتبر من أكثر الخطابات تأثيرا في المجتمع، إرشادا وتقويما للظواهر الاجتماعية، ودعوة للإصلاح والتغيير.

وقد كان لهذه الخطبة المنبرية حضور وازن في تاريخ الأدب المغربي، ما جعل عبد الله كنون في كتابه: (النبوغ المغربي)، يخصص فصلا لأشهر الخطباء في تاريخ المغرب، مثل القاضي عياض وغيره، ورغم هذا التأثير البالغ، وذلك الحضور التاريخي الواضح، فإن ما طبع من دواوين الخطباء المغاربة قليل جدا،بحيث كان الخطباء في المغرب إلى عهد قريب، إذا بحثوا عن كتاب مطبوع يجمع خطب خطيب مغربي، لا يعثرون ــ حسب ما أعلم ـــ إلا على ديوان خطب أبي عبد الله محمد الرهوني الوزاني، وكان يقاسمه الشهرة في مكتبات المغرب كتاب:(ديوان خطب ابن نباتة)، وهو خطيب حلبي غير مغربي.

إن الناظر لما أنجز من دراسات جامعية حول الخطاب الديني في المغرب، سيجد نوعا من قلة الاهتمام بهذا الموضوع، أما لو نظر في المنجز البحثي الجامعي حول خطبة الجمعة في المغرب فسيجده نادرا، وذلك راجع لأسباب عديدة، ترجع عموما إلى إشكالات يطرحها البحث في هذا المجال، منها:

1ـ تعدد أشكال الخطاب الديني، من محاضرات وخطب ودروس ومواعظ وحلقات ذكر وغيرها، مما يفرض تعدد مناهج الدراسة وتشعبها؛

2ـ قلة ما يطبع وينشر من متون هذا الخطاب ونصوصه، إذ أغلبه إما خطاب شفهي مرتجل، أو نصوص يفضل أصحابها ركنها على رفوف مكتباتهم الخاصة، بعد إلقائها على الناس.

وقد كان لصدور خطب الدكتور عباس الجراري بأجزائها الثلاثة، أثر كبير عند المهتمين من خطباء جمعة وأدباء ودارسين للأدب المغربي، ساهم في إثراء المكتبة الإسلامية والأدبية معا، ذلك أن المؤلف ــ الخطيب ــ يعد رائدا من رواد الكتابة الأدبية والفكرية والإسلامية في المغرب الحديث والمعاصر، بل يعد عميد الأدب المغربي الحديث والمعاصر، وهذا سيجعل نصوص خطبه المنبرية ثرية مضمونا وأسلوبا، تجمع بين أصالة خطابية متوارثة عن رواد الخطابة في الإسلام، وبين تجديد خطابي، يظهر في حداثة الطرح، وعمق الأفكار، وتوظيف الجماليات الجديدة في الأسلوب والإقناع.

وسيكون هدفي في هذه الدراسة إبراز القضايا الفكرية التي رآها الخطيب جديرة بالتناول والنقاش، من خلال تتبع بعض مواضيع خطبه المنبرية المنشورة، هذا من جهة، ثم دراسة قضايا فنية ميزت لغة الخطيب وأسلوبه من جهة أخرى، مع بيان بعض مظاهر التجديد الخطابي لغة وأسلوبا داخل المتن الخطابي المدروس.

أما المنهج، فعلى الرغم من ضرورة بيانه وحتمية تحديده، إلا أن إخضاع النص الخطابي لمنهج وحيد أثناء الدراسة فيه بعض الصعوبة، وذلك راجع لعدم وجود بنية صارمة لهيكل النص الخطابي يتبعها كل الخطباء، وكذلك لعدم وجود موضوع وحيد تخوض فيه الخطبة، بخلاف الشعر الذي عرف ببنيته الصارمة التي سميت بحورا، وهي بحور معدودة معروفة، وإذا كان الأمر كذلك، فإن المنهج المتبع يجب أن يكون ملائما لطبيعة النص

الخطابي من جهة، ومناسبا من جهة أخرى لما تفرضه طبيعة كل موضوع، لهذا سأعتمد في الدراسة المنهجين التفكيكي ثم التحليلي منهجين للتحليل في الفصل الأول، إذ تم تفكيك هذه الخطب، من أجل تحديد المواضيع التي تناولها الخطيب في خطبه المنشورة، ثم تصنيفها وتحليلها، أما في الفصل الثاني، فسأستعين بالمنهجين السابقين، ثم أضيف المنهج الأسلوبي، محاولا إبراز شيء من مواطن الجمال، في بعض الخطب المدروسة.

ولأن خطبة الجمعة أهم وسيلة دعوية إسلامية في المغرب الحديث والمعاصر، فإن إبراز ثراء مواضيع خطب عباس الجراري موضوعا، وتميز خطبه المنبرية لغة وأسلوبا، يروم تقديم نموذج خطابي دعوي مغربي، يمتاز بالهدوء، ومخاطبة العقل، بحجة قوية وطرح عميق، وأسلوب سلس أخاذ.

واعتبارا لما سبق من حيثيات وأهداف، سيكون عنوان هذا البحث: (خطب منبرية للدكتور عباس الجراري: مواضيع فكرية، وقضايا فنية)، محاولا الإجابة على ثلاثة أسئلة هي: ما أبرز المواضيع الفكرية التي شغلت فكر الخطيب عباس الجراري؟ وما أبرز الوسائل البلاغية– ذات الطابع الخطابي خصوصا– التي ميزت خطابه المنبري؟ وكيف استطاع الخطيب التوفيق بين أصول الخطابة المنبرية المتوارثة، وبين ما جد من أساليب وقوالب خطابية، تساعد على إيصال المعنى بأيسر الطرق إلى المتلقي؟

إن الصعوبات التي قد تواجه الباحث في هذا الموضوع، تتمثل في قلة الدراسات التي تناولت موضوع الخطابة المغربية تاريخا وحاضرا، اللهم بعض الدراسات الرسمية التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية حول موضوع خطبة الجمعة، لكنها غالبا ما تركز على كيفية بناء الخطبة وفقهها فقط.

أما في الجانب الأكاديمي، فالدراسات التي عنيت بموضوع الخطبة المغربية قليلة، بل نادرة، أبرزها أطروحة دكتوراه، قام بنشرها النادي الجراري بالرباط، أنجزتها الدكتورة إلهام المتمسك، نالت بها درجة الدكتوراه في الآداب من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، سنة 2006.

يمزج بحثي هذا، بين الدراسة النظرية والتطبيقية، قسمه الأول المعنون: "مدخل"، عبارة عن مداخل نظرية حول الخطبة والخطيب، أما القسم الثاني فهو فصلان: الأول، دراسة لبعض المواضيع الفكرية المستخرجة من متون خطابية للدكتور عباس الجراري، والفصل الثاني سأقف فيه عند بعض القضايا الفنية، التي ميزت هذه المتون الخطابية المدروسة.

في القسم الأول من هذا البحث ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وهو تعريف بمفاهيم هذا البحث: الخطبة ـــ المنبرية ؛

المبحث الثاني: سأعرف فيه بأشهر أنواع الخطب، ثم سأذكر أوجه الخلاف والتشابه بين التعريفين؛ اللغوي والفقهي للخطبة المنبرية؛

المبحث الثالث: فيه سأنتقل من الخطابة بمفهومها العام، إلى الخطابة المحلية المغربية، وذلك عبر ذكر أشهر أنواعها، ثم بوصف ما شهده هذا العصر من تراجع لمستواها، مع اقتراح حلول لبعث نهضة خطابية جديدة؛

المبحث الرابع: سأترجم للخطيب عباس الجراري، وذلك بوصفه أديبا وباحثا وخطيبا.

بعد هذه المداخل التمهيدية، سألج صلب البحث من خلال فصله الأول، الذي سأدرس فيه بعض القضايا الفكرية التي شغلت ذهن الخطيب.

وسأقسم هذه القضايا التي ناقشها الخطيب فوق منبر مسجد "للا سكينة" بالرباط إلى:

أولا: مواضيع دينية، سأرتبها على الشكل التالي:

المطلب الأول: موضوعات العقيدة والإيمان؛

المطلب الثاني: العبادات الإسلامية، قداسة الزمان والمكان؛

المطلب الثالث: الإسلام تزكية وأخلاق ومعاملات؛

المطلب الرابع: النظام الاقتصادي والسياسي في الإسلام.

ثانيا: مواضيع تاريخية، وتنقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي؛

المطلب الثاني: التاريخ الوطني.

ثالثا: مواضيع واقعية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسس الواقعية الإسلامية ومظاهرها؛

المطلب الثاني: شبهات من الواقع الإسلامي والرد عليها؛

المطلب الثالث: موضوعات من الواقع المغربي المحلي.

أما في الفصل الثاني، فسأنتقل إلى القضايا الفنية التي ميزت هذه المواضيع الفكرية الخطابية المدروسة في الفصل الأول، والتي سأقسمها إلى قضايا لغوية، وقضايا أسلوبية، وذلك على الشكل التالي:

المبحث الأول: اللغة الخطابية، خصائصها ومكوناتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصائص اللغة في خطب الجراري؛

المطلب الثاني: الحقول المعجمية في خطب الجراري.

المبحث الثاني: الأسلوب الخطابي عند الدكتور عباس الجراري، وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: تنوع الأساليب في خطب الجراري؛

المطلب الثاني: التسلسل والتناسب الأسلوبي.

وسأختم هذا الفصل بحديث عن حداثة اللغة والأسلوب في خطب الجراري، وذلك من خلال رصد بعض أوجه الحداثة في النصوص الخطابية المنبرية المدروسة.

لتكون خاتمة البحث عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات التي خلصت إليها في هذا البحث.

مدخل: التعريف بالخطابة والخطيب

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: الخطابة، أنواعها وأهميتها.

المبحث الثاني: مفهوم الخطبة المنبرية.

المبحث الثالث: التعريف بالخطابة المغربية.

المبحث الرابع: ترجمة عباس الجراري.

المبحث الأول: الخطابة، أنواعها وأهميتها:

هذا المبحث عبارة عن مداخل تمهيدية، قصدت فيه إلى التعريف بالخطبة وأنواعها وأشهر روادها.

1- مفهوم الخطابة:

أ- مفهومها اللغوي:

يقول الزبيدي في تاج العروس: «والخطبة: مصدر الخطيب، خطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح والخطبة بالضم، وهي عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب حسن الخطبة بالضم، جمع خطباء، وقد يخطب بالضم خطابه بالفتح، صار خطيبا»[1]، وقد أشار بعض اللغويين إلى أن الخطبة مرتبطة عند العرب بالخطب، أي الأمر الطارئ الجديد، وبالخطوب أي الحوادث الكبار، إذ كلما حل أمر طارئ جلد احتاج الناس لرأي الخطيب ليشير عليهم،وهو ما يشير إليه ابن فارس في مقاييسه قائلا: «خطب: الخاء والطاء والباء أصلان، أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك، والخطب الأمر يقع، وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة»[2].

ب -المفهوم الاصطلاحي:

الخطبة فن من فنون الأدب، تعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالناس، والغرض منها إقناع الناس والتأثير فيهم؛ وقد عرفها الجرجاني بقوله: «هي قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص يعتقد

---

[1] ـ تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، ، دار الفكر، 1994، ج1، ص:468.

[2] ـ معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، ط 1، 2011 ص:323.

فيه، والغرض منها ترغيب الناس في ما ينفعهم»[1]،قال محمد الخضر حسين :«ويراد بالخطابة القوة الصانعة للأقوال المقنعة»[2]، كما عرفت الخطبة بأنها:«حديث شفوي حول مشكلة ذات طابع جماعي، بغية الوصول إلى غايتين، إحداهما إقناع الناس بصحة ما يذهب إليه الخطيب من آراء، وثانيهما التأثير فيهم والنفاذ إلى أعماقهم، واستمالتهم في تبني رأيه»[3]،وقد اعتمدت الخطابة في تاريخها الطويل على أسس هي: المشافهة والجمهور والإقناع والاستمالة.

فتكون الخطابة اعتمادا على هذه الأسس:«هي القيام بالتعبير عن مجموعة من الأفكار المتصلة ببعضها في موضوع، عن طريق إلقائها أمام جمهور من الناس»[4].

ج -الخطابة عند الأدباء:

الخطابة جنس أدبي، لهذا اهتم بها الأدباء قديما وحديثا، فوضعوا لها حدودا وشروطا، قال أحمد الزيات: «الخطابة كالشعر لحمتها الخيال، وسداها البلاغة، وهي مظهر من مظاهر الحرية والفروسية، وسبيل من سبل التأثير والإقناع، تحتاج إلى ذلاقة اللسان، ونصاعة البيان، وأناقة اللهجة، وطلاقة البديهة»[5]،ويقول صاحب كتاب فن "الخطابة وإعداد الخطيب"،مفرقا بين كون الخطبة كلاما يبدعه الأديب سواء خطب به أم لا، وبين كونه كلاما

---

[1]ـ التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط1، ص:104.

[2]ـ الخطابة عند العرب، محمد الخضر حسين، دار المنهاج، ط1، 1433ه، ص 176.

[3]ـ البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1994، ص:240.

[4]ـ نفسه ص: 242.

[5]ـ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات،دار الشرق العربي، ط جديدة. ص: 24.

يلقى أمام جمهور: « وفي عرف الأدباء، تقال على معنيين،أحدهما أن هذه الخطبة بضم فسكون اسم للكلام المنثور سجعا كان أو مرسلا، وثانيهما أنها إلقاء الكلام المنثور مسجوعا كان أو مرسلا»[1].

د -الخطابة عند المناطقة:

يعرفها أرسطو في كتابه الخطابة قائلا :«يمكن أن تحد الخطابة بأنها: الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»[2]،ويضيف موضحا وشارحا تعريفه: «يبدو أن الخطابة قادرة على الكشف على سبل الإقناع في أي موضوع كان، وهذا هو السبب في أننا نقول إن الخطابة بوصفها فنا، فإن قواعدها لا تنطبق على صنف محدد خاص من أصناف الأشياء»[3]؛ يقول علي محفوظ : «أما الخطابة عند المناطقة: فهي قياس مؤلف من مقدمات مقبولة لصدورها عمن يعتقد به، لاختصاصه بحرية عقل أو تدين»[4]، ويظهر من خلال تتبع كتب فن الخطابة، أن المناطقة كانوا أكثر اهتماما بها من الأدباء، إذ وضعوا حدودها وقواعدها، يقول صاحب منظومة السلم في الصناعات الخمسة، واضعا الخطابة في أعلى درجات الحجج:[الرجز]

خَطَابَةٌ شعْرٌ وَبُرهَانٌ جَدَل وَخَامسٌ سَفسَطَةٌ نلْتَ الْأَمَل[5]

---

[1]ـ فن الخطابة وإعداد الخطيب، الشيخ علي محفوظ، دار الاعتصام. بدون ط ولا سنة نشر، ص 24.

[2]ـ الخطابة لأرسطو، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الرشيد للنشر، 1980، ص: 29.

[3]ـ نفسه، ص: 28.

[4]ـ فن الخطابة وإعداد الخطيب، (م.س)، ص:14.

[5]ـ متن السلم المرونق في علم المنطق، عبد الرحمان الأخضري، دار السلام، ط1، 2014، ص:40.

ه -الدلالة الحديثة للخطابة:

اعتبر ديل كارنيجي من أشهر من نظر للخطابة الحديثة، مبينا قواعدها والطرق التي تؤثر في الجمهور، مطبقا تلك القواعد من خلال تدريس فن الخطابة في معهد كارنيجي للطلاب والمهتمين بها، والجديد في كتابه"فن الخطابة"، مقارنة بمن كتب قبله، أن بعض مباحثه لم يتحدث عنها منظرو الخطابة قديما، مثل حديثه عن أهمية جمع الخطيب -أثناء تحضيره خطبته- معلومات أكثر مما يحتاج تدوينه أو إلقائه، يقول كارنيجي: «والخطاب يجب أن يتهيأ بروح الوفرة وحسن التمييز، فأَجْمَع منه فكرة ثم أَسْقط تسعين منها،أَجمع المزيد من المواد والمعلومات أكثر مما يمكن استخدامه،أَجمعها من أجل التأكد من صحة ما لديك، اجمَعْها في سبيل التأثير الذي ستخلفه في عقلك وقلبك وأسلوبك في إلقاء الخطبة، فهذا عامل أساس مهم في التحضير»[1]،

الخطابة في العصر الحديث تعتبر سرا من أسرار نجاح السياسيين ورؤساء الإدارة في الشركات الكبرى والمؤسسات العامة والخاصة، لهذا تلقى اهتماما كبيرا لأنها أساس هام من أسس التأثير في الناس.

2- أنواع الخطابة وتاريخها ومكانتها:

أ -أنواع الخطابة:

قسم أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أقسام: مشْوَرية ومُشَاجرية وبُرهانية، يقول: «فأما المشْوَرية فهي إما حض أو نهي، لأن الذين يشيرون في الخواص،وأولئك الذين يخطبون في المجامع، إما أن يحضوا أو ينهوا، وأما المُشَاجَري فمنه اتهام ومنه دفاع، لأن الذين يتشاجرون، إما أنهم يتهمون أو

[1]ـ فن الخطابة، ديل كارنيجي، مطبعة الأهلية، ط1، 2001، ص: 37.

يدافعون؛ وأما البرهاني فمنه مدح ومنه ذم»[1]،وتقسيم الخطب إلى أنواع، فيه شيء من التساهل، وإلا فإن الخطب قلما تكون صارمة في تناول فن من القول دون غيره، فالخطيب يوم الجمعة يتناول موضوعات عدة، دينية وغيرها،ولكن كلها تجمع تحت مسمى الخطابة الدينية، وعموما، فإن الخطبة في العصر الحديث يمكن أن تنقسم إلى أنواع هي: الخطب السياسية والخطب الاجتماعية والخطب الحربية والخطب الدينية والخطب المحفلية والخطب القضائية.

ب -تاريخ الخطابة وأطوارها:

الخطابة قديمة قدم الإنسان، لأنها مظهر من مظاهر تواصله مع الناس، لكن الخطابة باعتبارها فنا من الفنون الأدبية، لها قواعد وضوابط،ترجع أولى الكتابات عنها إلى حضارة اليونان، تقول إلهام المتمسك: «يعتبر السفسطائيون اليونان هم أول من كتب في علم الخطابة، فهم الذين استنبطوا قواعد هذا الفن وشيدوا أركانه، وأقاموا بنيانه، ثم جمع أرسطو اليوناني هذا العلم في كتاب أسماه "الخطابة"»[2]، وقد كان للحروب اليونانية الداخلية فضل في نضج الخطابة وتقوية عودها، كما كان للمسارح والفنون في "أسبرطة" دور في نهضتها، لتأتي الفترة الرومانية فيبرز فيها خطباء من أشهرهم "شيشرون".

لم تكن الخطابة عند الرومان ذات حظ من الرقي والانتعاش، بسبب ما كان يسود الحياة السياسية من استبداد وتسلط، عكس ما كان لدى اليونان،أما عند العرب، فقد ازدهرت الخطابة بفعل الحروب وحرية التعبير والشجاعة،

---

[1]ـ الخطابة لأرسطو، (م.س)، ص: 37.

[2]ـ الخطاب الديني عند عباس الجراري المرجع والبنية، إلهام المتمسك، مطبعة الأمنية، ط1، 2008، ص:34.

وامتلاك ناصية اللغة[1]؛ ينقل الجاحظ عن أبي عمرو بن العلاء قوله: «كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر، فلما كثر الشعراء، وتكسبوا بالشعر، قدم الخطباء عليهم»[2]؛ كما كانت خطبهم على نوعين: خطب طوال وخطب قصار، وكان عدد القصار أكثر، لسهولة حفظ الرواة لها[3].

وبعد مجيء الإسلام ازدهرت الخطابة لحاجة الدعوة الإسلامية إليها، وكذلك لأن الإسلام جعل من الخطابة شعيرة وعبادة، مثل خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما، وكذلك لبلاغة خطب الرسولﷺ، مثل خطبة حجة الوداع وغيرها.

ت-مكانة الخطابة بين فنون الأدب:

الخطابة فن لا يستغني عنه مجتمع من المجتمعات، نظرا لسمو غايته، وحاجة الاجتماع الإنساني له، إذ تعتبر شرطا في الحاكم والوزير في أغلب الحضارات البشرية، يقول محمد الخضر حسين: «الخطيب البارع، يقف في الجندي المتباطئ، ويصف له ما سيناله الأبطال من عزة يوم يعيشون، أو سعادة يوم يموتون، فينقلب التردد عزما صارما، والإحجام هجوما رائعا؛ الخطيب البارع، يقف في الجماعة الخاملة، فيهز قلوبهم هزا، فإذا هي ناهضة من خمولها»[4].

---

[1]ـ فن الخطابة وإعداد الخطيب، (م.س)، ص: 22.

[2]ـ البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، مكتبة الخانجي، ط 7، 1998، ج1، ص: 241.

[3]ـ نفسه، ص: 7.

[4]ـ الخطابة عند العرب، (م.س)، ص: 180.

المبحث الثاني: الخطبة المنبرية بالمغرب:

شرع الإسلام عند كل اجتماع خطبة، مثل خطبة الجمعة وخطبة العيدين وخطبة الاستسقاء وخطبة عرفة وغيرها، كما يحفل المسجد بخطابات ذكرها الكتاب الذي أصدرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، تحت عنوان "دليل الإمام والخطيب والواعظ" يمكن إجمالها هكذا:

-دروس الوعظ والإرشاد؛

-دروس عامة للتعريف بمبادئ الإسلام؛

-الكراسي العلمية في علوم القرآن والتفسير والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية وعلومها؛

- دروس خاصة بالنساء والأطفال والشباب؛

ـــ دروس تحفيظ القرآن وتجويده؛

-دروس محو الأمية؛

-دروس تكوين القيمين الدينيين[1].

1- الخطبة المنبرية: المفهوم اللغوي والحد الفقهي:

الخطبة المنبرية لغة، هي مركبة من كلمتين: خطبة، وقد سبق تعريفها،والخطبة إما أن توصف بأنها: "منبرية" أو بأنها خطبة "جمعة"، أما كونها خطبة "منبرية"، فنسبة إلى كلمة المنبر، يقول ابن فارس:« نبر: النون والباء والراء أصل صحيح يدل على علو وارتفاع، ونبر الغلام : صاح أول ما يترعرع، ورجل نبار :فصيح جهير، وسمي المنبر لأنه مرتفع ويرفع الصوت

[1]ـ دليل الإمام والخطيب والواعظ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ص:170.

عليه»[1]، ويظهر من كلام ابن فارس أن كلمة المنبر تدل على شيء مرتفع، فالمنبر يرفع جسد الخطيب، كما أنه مكان لرفع صوته عليه، أما إن نسبناها ليوم إلقاءها فستسمى: خطبة جمعة، يعرفه الفيومي بقوله: «ويوم الجمعة، سمي بذلك لاجتماع الناس به، وضم الميم لغة الحجاز، وفتحها لغة بني تميم»[2].

أما حدها الفقهي، فيظهر من خلال كتب الفقه الإسلامي عدم وجود فروق جوهرية بين الخطبة المنبرية والخطب الأخرى، إذ اشترط بعض الفقهاء في خطبة الجمعة شرطا أساسيا، وهو كونها خطبة بنفس البنية، وبنفس الشروط التي كان العرب التي يشترطونها في خطبهم السياسية أو الاجتماعية قبل الإسلام، قال الشيخ خليل: «وبخطبتين قبل الصلاة مما تسميه العرب خطبة»[3]، ونلاحظ أن الشيخ خليل عرفها بنسبتها للنوع العام الذي هو الخطابة العربية، وهذا ما جعل تعريفها يتحدد بتتبع كيفية صياغتها، أو بتتبع شروطها وواجباتها، إذ على الخطيب بعد ارتقاء المنبر أن: « يحمد الله تعالى في الخطبة الأولى، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويوصي بتقوى الله، ويقرأ آية،ويحمد الله تعالى في الثانية، ويصلي على رسوله صلى الله عليه وسلم، ويوصي بتقوى الله، ويدعو للمؤمنين والمؤمنات»[4]،هذا هو الهيكل الخاص بخطبة الجمعة،وهو هيكل له خصائص جاءت بها الشريعة الإسلامية، ميزت بها الخطبة المنبرية عن سائر أنواع الخطابة الأخرى، وقد

---

[1]ـ معجم المقاييس في اللغة، (م.س)، ص:1009.

[2]ـ المصباح المنير، أحمد الفيومي،دار القدس،2008، ص: 170.

[3]ـ مختصر خليل، خليل بن إسحاق المالكي،المكتبة المالكية، ط 1981، ص: 46.

[4]ـ حلية الأولياء في معرفة مذاهب الفقهاء، محمد الشاشي القفال ج 2،ص: 177.

صاغ ابن عبد البر تعريفا لها من خلال ذكر بعض شروطها فقال: «الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة خطبتان، يفصل بينهما بجلسة خفيفة، قدر ما يقرا قل هو الله أحد، ولا يجزي إلا ما يقع عليه اسم خطبة»[1].

وقد اشترط المالكية في خطبة الجمعة تسعة شروط، من هذه الشروط: «أن تكون الخطبتان مما تسميه العرب خطبة، ولو بسجعتين، نحو: اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما عنه وزجر، وندب صلاة على نبيه، وأمر بتقوى الله، ودعاء بمغفرة، وقراءة شيء من القرآن»[2].

يلاحظ الاهتمام الكبير بقضية "الموضوع" في خطبة الجمعة،إذ لا يمكن إطلاق مسمى:

«خطبة عند كل المذاهب الإسلامية إذا لم تتضمن فكرة تبثها للناس، فإن اقتصر على الصلاة على رسول اللهﷺ، أو هلل أو كبر دون دعوة، أو أمر بمعروف أو نهي عن المنكر أعادوا الخطبة والصلاة، قال ابن القاسم: وإن سبح أو هلل لم يجزه من الخطبة إلا أن يأتي بكلام يكون عند العرب خطبة»[3].

2- التعريف بالخطابة المغربية:

كان شروع فاطمة الفهرية في بناء جامع القرويين سنة 245 هجرية، إذنا بانطلاق عهد العلوم والآداب بالمغرب، وقد اهتم مؤرخو الأدب المغربي بفن الخطابة كثيرا، مثل عبد الله كنون في " نبوغه "، ومحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي في كتابهما: "الأدب المغربي"، معتبرين خطبة طارق بن

---

[1]ـ الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية، ط 2، 1992، ص: 71.

[2]ـ الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي،ج 2، دار الفكر، ط 3، 1983، ص: 284 .

[3]ـ التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن أبي القاسم العبدري،ج 2، ص: 164.

زياد،-رغم ما قيل حول صحة نسبتها- إليه من أولى إرهاصات الأدب المغربي، وبالرجوع إلى ما جمع المؤرخون من خطب مغربية، يمكن تصنيف هذه الخطب إلى أنواع منها:

أ- الخطب الدينية:

مثل خطب الجمعة للقاضي عياض، وأبي عبد الله الرهوني،هذه الخطب كانت لها قيمة أدبية، نظرا للمكانة الأدبية للعلماء الذين نقلت عنهم؛وقد نقل عبد الله كنون خطبة للقاضي عياض في الحض على التوكل يقول فيها: « عباد الله سلموا الأمور إلى من بيده أزمة مقاديرها تنجحوا، واشتروا راحة قلوبكم بإخلاص التوكل على الله تربحوا، واعلموا أن الحرص لا يزيد المرء على ما قسم له، وتصاريف القدر تقطع لكل آمل أمله، وإنما يدرك الإنسان بسعيه ما كتب له لا ما طلب، ويبلغ بكده ما قسم له لا ما أمل واحتسب»[1]، كما اشتهر من خطب القاضي عياض خطبة ضمنها أسماء سور القرآن، هذا مقتطف منها: «الحمد لله الذي افتتح بالحمد كلامه، وبين في سورة البقرة أحكامه، ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه، وجعل في الأعراف أنفال توبة يونس..»، ويقول أبو عبد الله الرهوني في التذكير والترغيب: «ولا تكونوا ممن استعبدتهم الدنيا فشربوا من كؤوس حبها حتى سكروا، وقطعوا أعمارهم في اتباع شهواتها فخابوا وخسروا، وانهجوا سبيل الذين استعدوا لمواطن القيامة كأنهم شاهدوا أهوالها وحضروا، ورأوا عذاب النار فكفوا أنفسهم عن السوء وانزجروا، وسمعوا ما أعد الله لأوليائه في الجنة فاجتهدوا بالطاعة وبادروا،

[1]- النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون الحسني، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1961، ص: 414.

وقد تحققتم يا عباد الله أنه ليس بعد هذه الدار منزل ولا قرار، سوى الجنة أو النار، فاختاروا لأنفسكم وانظروا»[1].

ب- الخطب السياسية:

وهي خطب ترتبط غالبا بتنصيب حاكم جديد، يتخذ من الخطبة إعلانا لسياسته، أو محاولة آخر وأد فتنة، عبر تحذير الناس من خطر الفرقة، مثل خطبة إدريس الأزهر، التي قالها إثر مبايعته وهو ابن إحدى عشرة سنة، يقول: «أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر، وعلى المسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا»[2]، كذل برز في هذا النوع من الخطب المهدي ابن تومرت زعيم الموحدين، الذي وصفه صاحبا كتاب "الأدب المغربي" بالقول: « لابن تومرت وأمرائه عظات وخطب ووصايا، وكان بليغا في ترسله وكتاباته»[3]، ومن آثاره خطبته التي خطبها في شيوخ المصادمة عاهدا إلى عبد المؤمن،يقول في مطلعها: «إن الله ـ سبحانه وله الحمد ـ من عليكم أيتها الطائفة بتأييده، وخصكم من بين أهل العصر بحقيقة توحيده، وقيض لكم من ألفاكم ضلالا لا تهتدون، وعميا لا تبصرون، لا تعرفون معروفا، ولا تنكرون منكرا، قد فشت فيكم البدع واستهوتكم الأباطيل، وزين لكم الشيطان الأضاليل»[4].

---

[1]ـ نفسه، ص: 419.

[2]ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي، (م.س)، ص: 413.

[3]ـ الأدب المغربي، محمد بن تاويت، ومحمد الصادق عفيفي، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1969، ص: 122.

[4]ـ نفسه، ص: 159.

ج- خطب الجهاد:

وهي خطب حماسية يلقيها القادة في ميادين المعارك، أو العلماء الذين كانوا معروفين بقوة القول والإنشاء، مثاله خطبة طارق بن زياد، التي أثارت كثيرا من المداد، وقد أطال الأدباء النقاش حول صحة نسبتها إليه، منهم عباس الجراري في كتابه: "الأدب المغربي"، والذي مال إلى صحة النسبة لطارق، يعقب–بعد أن نقل الأقوال المشككة في صحة نسبتها إليه– قائلا: «والرأي عندي بعد هذا، أن الخطبة ثابتة، وإن كان اختلاف النصوص يدعو إلى الشك في هذا الثبوت، ثم إني أرجح أنها ليست من إنشاء طارق، وإنما كتبت له ليلقيها في الجيش، وأنها في هذه الحالة من إنشاء عربي من الفاتحين يتقن الكتابة، بل لعل مهمته كانت تقتضي أن يكتب للجيش وقائده»[1]،وهذه قطعة من خطبة طارق بن زياد، يحث فيها جيشه على الصبر: « واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا، استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظي»[2]،ومن خطب الجهاد كذلك خطبة للسلطان المغربي يعقوب المنصور، الذي اشتهر بكثرة غزواته؛ قال في إحدى خطبه، حاثا الجنود على الثبات في معركة الدونونية بإسبانيا: «يا معشر المسلمين، وعصابه المجاهدين: إن هذا يوم عظيم، ومشهد جسيم، ألا وإن الجنة قد فتحت لكم أبوابها، وزينت أترابها، فخذوا في طلابها، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين في جهاد المشركين، فمن مات منكم مات شهيدا، ومن عاش

---

[1]- الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، عباس الجراري. مكتبة المعارف، ط 3، 1979، ج1، ص:66.

[2]- النبوغ المغربي في الأدب العربي، (م.س)، ص 412.

عاش غانما مأجورا حميدا، فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون»[1].

د-خطب الإصلاح الاجتماعي والفكري:

وقد أورد عبد الله كنون في " نبوغه " بعض منها، مثل خطبة للقاضي أبي حفص بن عمر، يحذر فيها من مذاهب الفلسفة، هذا مقتطف منها: «إياكم والقدماء وما أحدثوا، فإنهم عن عقولهم حدثوا، أتوا من الافتراء بكل أعجوبة، قلوبهم عن الأسرار محجوبة، الأنبياء ونورهم، لا الأغبياء وغرورهم»،كذلك أورد كنون خطبة للسلطان مولاي سليمان في التحذير من بدع المواسم،وهذا مقتطف منها:« ولهذا نرثي لغفلتكم وعدم إحساسكم، ونغار من استيلاء الشيطان بالبدع على أنواعكم وأجناسكم، فألقوا لأمر الله آذانكم، وأيقظوا من نوم الغفلة أجفانكم، وطهروا من دنس البدع إيمانكم، وأخلصوا لله سركم وإعلانكم، واعلموا أن الله أوضح لكم طريق السنة لتسلكوها، وصرح بذم اللهو والشهوات لتملكوها، فامتثلوا أمره في ذلك وأطيعوا، واعرفوا فضله عليكم وعوه، واتركوا عنكم بدعة هذه المواسم التي أنتم بها متلبسون»[2]، ومما يلاحظ المطلع على الكتب التي أرخت لتاريخ الخطابة المغربية أن الأدب لم يعد شغل طبقة معينة بل أصبح سوقا رائجة من السلاطين إلى السوقة، كما يلاحظ على هذه الفترة من تاريخ المغرب، أن الملوك كانوا أهل علم وأدب في أغلبهم.

---

[1]ـ نفسه، ص: 417.

[2]ـ نفسه، ص: 420.

الواقع الحديث والمعاصر للخطابة المغربية:

أدت الخطبة باعتبارها شكلا من أشكال النثر الأدبي وظيفة هامة في فجر النهضة المغربية الحديثة،ويعدد عبد الله كنون عوامل هذه النهضة فيذكر منها: التعليم الحديث،والإصلاح الديني، والتأثر بالنهضة المشرقية، والدور الكبير للحماية في هذه النهضة[1]؛إذ نتج عن هذه العوامل تحول فكري، ظهر من خلال الأعمال العلمية والأدبية التي أنجزت في هذه الفترة؛ هذا التحول برز من خلال تطور أساليب العلماء في التدريس وفي الكتابة والبحث،أما في الميدان الأدبي، فقد كانت هنالك محاولات للتجديد والتحلل من قيود النثر الفني القديم، الذي كان أسلوب الأدباء المغاربة المفضل في التعبير؛ هذا التجديد في الأساليب والمواضيع المطروقة، ظهر بجلاء في فن المقالة خصوصا، وكذلك في فن الخطابة التي تحررت كثيرا من قيود السجع، مركزة على معالجة قضايا عصرها الاجتماعية والسياسية والثقافية داخل المغرب وخارجه، وقد أورد محمد المنوني خطبة لأبي الربيع سليمان الحوات، يبين فيها خطر حملة نابليون على مصر، وهذا مقطف منها: «وهل نسيتم ما كان في هذا العصر، من دخول الكفار أهل مصر،وعتوهم فيها، وإفساده منهبا وقتلا، يكاد يفضي إلى ارتداد أكثر أهلها، لولا أن الله تداركهم بلطفه رحمة منه وتفضلا»[2]؛ كما أورد في كتابه"مظاهر يقظة المغرب الحديث" خطبة أدرجها ضمن أدب اليقظة المغربية قائلا: «تعددت مظاهر اليقظة في أدب هذا الطور، وتقدمت أمثلة منها،ونأتي هنا بقبس آخر مما يتصل بمأساة حرب تطوان، وقد خلفت وراءها

---

[1]ـ كتاب: أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، عبد الله كنون، دار الثقافة، ط 3، 1981، ص: 39ـ 42 (بتصرف).

[2]ـ المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة، محمد المنوني، ج 2، ص:65.

مجموعة لا بأس بها من أدب اليقظة المغربية، وكنماذج من تلك المجموعة نقدم أولا قطعتين من عبرات المغاربة على تطوان، وصرخاتهم ضد الإسبان، الأولى خطبة ألقيت في إحدى الجوامع من منبر جامع القرويين بفاس، بعد الاعتداء على تطوان، وهي من إنشاء وإلقاء أبي بكر عبد الكبير ابن المجدوب الفهري الفاسي، المتوفي عام 1295هـ1877م...،ومنها:

عباد الله ... (إلى أن يقول)، ونحن غافلون نعسى، نعلل أنفسنا للخير بلعل وعسى، إلى أن فاجأ بالمكر يتيمة عقد مدائن المغربي تطاون، دار إسلام من لدن نشأتها على حسنها وبهجتها... فما أعظمها من مصيبة طامة، أصابت الخاصة من المؤمنين والعامة»[1].

إن تفاعل الخطبة المغربية الحديثة مع القضايا الوطنية والإسلامية يبرز بجلاء أكثر، من خلال النماذج التي أوردها عبد الله كنون في أحاديثه عن الأدب المغربي الحديث يقول:«ومن نماذج الخطب في الشؤون الاجتماعية، هذه الخطبة لمحمد السائح، وقد ألقاها في حفل مدرسي:

أبناء وطني الكرام، إن المغرب اليوم غيره بالأمس، وإنما يرسم في برنامج مستقبله لمومئ إلى مرام بعيد، وإن النظر في العواقب ثمرة العقل»[2]، كما أورد خطبة سياسية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي:«بطل الثورة الريفية، يستحث فيها همم المواطنين إلى الجهاد:

---

[1]ـ كتاب يقظة المغرب الحديث، ج الأول، محمد المنوني،ج1، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1985، ص: 364ـ365.

[2]ـ أحاديث عن الأدب المغربي الحديث،(م.س)، ص58ـ59.

إخواننا المسلمين، ندعوكم باسم الرابطة الدينية، أن تهبوا جميعا إلى فك رقابكم من عدوكم، الذي يريد أن يستعبدكم بالكيد والعدوان، إنه والله لخزي عظيم أن يخضع المسلم لعدوه وعدو دينه، وأن يحتمي بحماه»[1].

هذه النماذج، تبرز أن الخطابة المغربية الحديثة كانت مواكبة لقضايا عصرها، حاملة هم وطنها وأمتها، متطلعة لغد أفضل،كما تبرز النماذج كذلك،أن الخطبة المغربية جددت في أسلوبها، فكانت قريبة من متلقيها بعيدة عن التعقيد المعنوي أو اللفظي، غرضها الإفهام وإيصال الرسالة أولا، ليأتي بعد ذلك جيل جديد، هو الجيل الذي حمل هم تحرير الوطن من المستعمر، والدعوة للإصلاح الديني والاجتماعي، يقول عبد الله كنون: «لقد أشرنا أن الخطابة السياسية في هذا العصر ازدهرت ازدهارا كبيرا، ولا أدل على ذلك من هذه المجموعة الجديدة من خطب المرحوم محمد الخامس، وخطب ولي عهده جلالة الحسن الثاني،وخطب الأميرة عائشة، وكلها منشورة بالطبع، وخطب القادة الوطنيين الذين برزوا في الحلبة مثل عبد الخالق الطريس، والمكي الناصري، وعلال الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني، والحاج محمد بنونة، والمهدي بن بركة، ومحمد داوود، وعبد الله إبراهيم، وعبد العزيز بن إدريس وسواهم، وهي منشورة في الجرائد، وبعضها مطبوع على حدة»[2]، ويضيف مبينا حال هذه المتون الخطابية أسلوبا ومضمونا: «على أن الخطابة الدينية والاجتماعية تطورت كذلك تطورا عظيما، سواء من الناحية الموضوعية أو الشكلية، فقد صارت تهتم بالمشاكل العمومية والإصلاح الديني والاجتماعي،

---

[1]ـ نفسه، ص: 60.

[2]ـ أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، (م.س)،ص: :98.

ولم تبق قاصرة على التذكير بالعالم الأخروي والتزهيدي في الحياة الدنيا، كما تحسنت أساليبها وتهذبت لغتها بالتنزل إلى أفهام العوام ونبذ التقعر في الخطاب، ومن أشهر الخطباء الذين لهم يد في هذا التطور، الأساتذة محمد الطنجي، وعبد السلام الفاسي، وعبد الحفيظ كنون، وللأول مجموعة خطب منشورة باسم وعظ الجمعة»[1].

لكن هذا التطور وذلك الازدهار كان مرتبطا بأشخاص هم كبار الخطباء من رواد الأدب وعلماء الأمة،أما إذا نظرنا بنظرة أشمل لحال الخطبة المغربية في العصر الحديث والمعاصر، فسنجد أن الخطبة المغربية نوعان:

النوع الأول: فريق بقي مرتبطا بالنهل من دواوين الخطب القديمة المطبوعة، مثل خطب الرهوني أو ابن نباتة، أو أبي مدين الفاسي،دون مراعاة في الأغلب لمشاكل المتلقين الآنية، أو لمدى قدرتهم على استيعاب أساليب تلك الخطب المغرقة في السجع والزخرفة اللفظية.

النوع الثاني: فريق آخر حاول التجديد في الموضوعات والأساليب، مقتفيا أثر الخطباء المعاصرين،مغاربة أو مشارقة، وهي خطب تتفاوت مكانتها نجاحا وفشلا، لأسباب هي موضوع المبحث التالي.

أ - عوائق تطور الخطابة المغربية المعاصرة:

الناظر لحال خطبة الجمعة في المغرب اليوم، يلاحظ أنها لم تعد بذلك التألق الذي عرفته سابقا،وذلك نتيجة مجموعة من المعوقات والعراقيل التي تمنعها من النهضة والتجديد، من هذه العراقيل ما يلي :

---

[1]ـ نفسه، ص:98.

الأول: غياب تكوين أكاديمي لخطباء الجمعة؛إذ لا يوجد معهد للتكوين في الخطابة، كما أن شروط ممارسة خطبة الجمعة لم تكن محددة بشهادة معينة أو درجة تكوين محددة، اللهم إلا دورات موسمية تقيمها المجالس العلمية المحلية للخطباء التابعين لها، هذه الدورات لها مهمة أساسية تتمثل فيتلمس طريق نهضة الخطبة المغربية المعاصرة، والرقي بها، لكنها غير كافية، لغياب الأصل الذي هو التكوين المتخصص في فن الخطابة.

ثانيا: غياب النموذج؛ والمقصود بالنموذج هو عدم وجود مدرسة معاصرة في الخطابة المغربية، تكون لها أسس واضحة، ومعالم بارزة، هذه المدرسة التي يمكن أن تكون نبراسا للخطباء للاقتداء والتأسي، إذ في ظل عدم وجود تكوين متخصص في المجال، يكون وجود القدوة والمثال ضروريا.

ثالثا: ضعف المواكبة النقدية التصحيحية لما ينشر من خطب مطبوعة أو مكتوبة، على صفحات الجرائد وموقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومواقع التواصل الاجتماعي خصوصا؛ هذه المواقع التي تحفل بتراكم لا بأس به من نصوص خطب الجمعة، مكتوبة أو مسموعة أو مرئية؛هذا التراكم الخطابي، يشتكي عدم وجود مواكبة نقدية، اللهم إلا شذرات، تصدر أحيانا على شكل نشرات أو ندوات أو كتيبات أو مقالات، منشورة في بعض الجرائد أو مواقع التواصل الاجتماعي، مثل"نشرة الأئمة والخطباء"، وهي نشرة فصلية، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،وتوصيات "الملتقى العالمي لخطباء الجمعة في المغرب"«فاس 1989»، وكتب نقدية قليلة، مثل كتاب:"الخطيب وواقع الأمة" للدكتور مصطفى بن حمزة،وكتاب "خطبة الجمعة منبر من منابر الدعوة الإسلامية" لمحمد عز الدين توفيق،وكتاب "الأساس في الدعوة والخطابة" لعبد الرحمان بوكيلي، ومقالات حول واقع

خطبة الجمعة،في الجزء الأول من كتاب "مقالات الشيخ محمد العمراوي: نفحات ولفحات".

رابعا:ندرة ما يطبع من دواوين الخطب المغربية المعاصرة، وهذا عائق يحول دون استفادة عموم الخطباء من رواد الخطابة المغربية الحديثة والمعاصرة من أسلافهم من رواد الخطابة المغربية على مر العصور.

خامسا: ضبابية النصوص القانونية التي تحدد مستوى حرية الخطيب، مما قد يجعل الخطيب أحيانا في حيرة حول ما يسمح له بالكلام حوله أو ما يمنع عليه؛ وقد أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دليلا مطبوعا تحت عنوان:"دليل الإمام والخطيب والواعظ"،خصصت للخطيب محورا داخله، وضعت فيه ضوابط منهجية وموضوعية وصناعية للاسترشاد بها أثناء كتابته للخطبة أو إلقائها،مثل:

- توظيف أساليب التقريب والتحبيب في الخطاب؛
- تجنيب المنبر المعارك الشخصية والسياسية والإعلامية؛
- تجنب الفتوى من فوق المنابر[1].

ب ــ عوامل نهضة خطبة الجمعة بالمغرب المعاصر:

تحدث كثير من المهتمين بالمجال الديني في المغرب عن العوامل التي ستساعد على قيام نهضة خطابية جديدة، منهم الدكتور مصطفى بن حمزة[2] الذي يقول :«وخطيب الجمعة الذي يفترض فيه أن يكون في الصميم من المجتمع، وهو يؤدي رسالته النبيلة، يجب أن يتأهل لذلك باكتساب كثير من المواصفات النفسية والخلقية

---

[1]ـ دليل الإمام والخطيب والواعظ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص: 150 (بتصرف).

[2]ـ أستاذ جامعي متقاعد، ورئيس المجلس العلمي المحلي بوجدة.

والبيانية، كما أن عليه أن يتزود بكثير من ثقافة العصر ومعارفه، وبكثير من الخبرة بما يعتمي في المجتمع من تيارات وأفكار ومذاهب، وما يحكم السلوك الجماعي من المفاهيم والتقاليد والعادات والأعراف، وهي شروط إن تضافرت، فإنها تكسب الخطيب قدرة إقناعية وإصلاحية، تجعل مهمته ناجحة»[1].

إن الخلل حينما يكون مركبا تركيبا بنيويا، يحتاج أولا تفكيكا ومعرفة بخباياه وعيوبه، قبل محاولة التقويم والإصلاح، لهذا لن يكون الإصلاح كافيا إن ركز على جانب من جوانب الخلل دون غيره، وعموما، يمكن استعراض بعض الجوانب التي يمكن أن تساهم في النهوض بواقع الخطبة، من أهمها:

أولا: الاهتمام بالتكوين الأكاديمي لخطباء الجمعة، عبر إنشاء معهد لتكوين الخطباء الجدد، وانتظام دورات التكوين للخطباء الممارسين.

ثانيا: تشجيع الخطباء ماديا ومعنويا، لأن التحفيز يساعد على العطاء والرقي، وقد أحدث المجلس العلمي الأعلى: " جائزة المجلس العلمي الأعلى للخطبة المنبرية"[2]؛ وهي عبارة عن جوائز تشجيعية لخطباء الجمعة، تمنح سنويا لفائز واحد في كل إقليم، ولفائز واحد في كل جهة، ثم لفائز واحد على المستوى الوطني.

ثالثا: جمع ما نشر من خطب رواد الخطابة المغربية قديما وحديثا وطبعها، من شأن هذا أن يبرز أسس مدرسة مغربية في الخطابة المنبرية.

رابعا: المواكبة النقدية لما ينشر من خطب مكتوبة أو مرئية أو مسموعة، إلى غيرها من الإجراءات التي ستساعد على نهضة جديدة للخطابة المغربية.

---

[1]- الخطيب وواقع الأمة، مصطفى بن حمزة، مكتبة الطالب، 2001، ص: 24.

[2]- موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرسمي بالمغرب: habous.gov.ma.

المبحث الثالث: ترجمة عباس الجراري:

1ــ نسب الأسرة الجرارية:

تنتسب الأسرة الجرارية إلى عرب " بني جرار"، الذين وفدوا إلى المغرب قديما، نهضت هذه الأسرة بأدوار سياسية وفكرية منذ قرون، يقول عباس الجراري في كتابه عن والده: «وقد اشتهرت الأسرة الجرارية ـ إلى جانب نبوغ أبنائها في ميدان العلم والصلاح تدريسا وتأليفا وسلوكا ـ بالتبريز في مجال السياسة والدفاع، وهو مجال تحملوا فيه مسؤولية كبرى، منذ قدومهم إلى المغرب، وزادت هذه المسؤولية في ظل الدولة العلوية، التي اندمجوا معها في المساهمة والخدمة المتفانية، بدءا من أول ظهورها على يد المولى الشريف، وكان تزوج من سيدة جرارية هي أم المولى إسماعيل»[1]، وقد اشتهر في تاريخ الأسرة الجرارية علماء، في ميادين التدريس والتأليف،لعل أبرزهم العلامة عبد الله الجراري[2].

2 ـ عباس الجراري:

ولد الدكتور عباس الجراري صباح يوم الاثنين الثالث من ذي الحجة سنة 1355، الموافق ليوم 15 فبراير 1937م[3].

---

[1] ـ العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري، عباس الجراري،ط1، 1985، ص: 14.

[2] ـ يقول عباس الجراري عن والده: «ولد أبي عبد الله الجراري يوم الاثنين، رابع شعبان 1322 هجرية، موافق 1905 »؛ ويقول وزير الأوقاف المغربي الأسبق الهاشمي الفيلالي: «لقد كان المرحوم الأستاذ العلامة السيد عبد الله الجراري من طراز رجال الفكر والثقافة والقلم والعلم والدعوة الإسلامية، والمشاركة الواسعة الشاملة في حقول المعرفة والنشاط الثقافي العام، له في كل ميدان حظ موفور من الجهد والعطاء»، ويجمل المكي الناصري صفات عبد الله الجراري قائلا في حفل تأبينه: «لقد كان فقيدنا رحمه الله وفيا لدينه، وفيا لوطنه، وفيا لأشياخه، وفيا لأصدقائه، وفيا لكل الأخلاق والقيم الأخلاقية والروحية والوطنية، التي ميزت شعبنا على مر الزمن»، مقتطف من كتاب: العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري، لعباس الجراري، ص: 15 ـ 19، بتصرف.

[3] ـ موقع عباس الجراري على شبكة الإنترنيت: abbesjirari.com.

ويسترجع عباس الجراري ذكريات طفولته، متحدثا عن المنهج التعليمي المزدوج، الجامع بين النمطين التقليدي والعصري والذي اختاره والده عبد الله الجراري لأبنائه : « وقد كان هذا الازدواج يقتضي مني وأخي محمد على سبيل المثال، أن نتردد على الكتاب القرآني للفقيه المقرئ المكي بربيش ثلاث مرات كل يوم، إذ نبدأ به قبل الذهاب إلى مدرسة "أبناء الأعيان" في الصباح، ثم نلتحق به إثر الخروج منها زوالا وعشية»[1]؛ ويقول كذلك متحدثا عن اهتمام والده بتكوينه عبر دروس يتلقاها منه في المنزل: «إلى هذا البرنامج كله، تضاف حصص المنزل اليومية ودروس العطل، حتى في حال السفر، وخاصة تلك التي قرأ الوالد فيها معنا متونا أولية، اشتركنا جميعا فيها كالمرشد المعين، والأجرومية، وما إليها، إضافة إلى التدريب على كتابة موضوعات إنشائية، وإلى تطبيقات على نصوص من الأدب القديم والحديث، شعره ونثره، نحفظ بعضها»[2].

هذا الجمع بين النمطين التعليميين الأصيل والعصري في الصغر، ضروري أن ينعكس مستقبلا على التوجهات الفكرية لعباس الجراري، يظهر في تنوع دراساته وأبحاثه بين قديم وحديث، وفي وظائفه كذلك، التي جمعت بين التدريس في الجامعة، وبين الخطابة في المسجد، وإلقاء الدروس الحسنية، وكذلك في مؤلفاته التي جمعت بين دراسة الأدب القديم، وبين الدراسات الفكرية للقضايا المعاصرة.

---

[1]ـ العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري، (م..س)، ص: 80.

[2]ـ نفسه، ص: 80.

وهذه شذرات، تعرف بعباس الجراري الباحث والأديب والخطيب، ذلك أن المقام ليس مقام الاستفاضة في التعريف، ولا إطالة في الترجمة، وإلا لما أسعفتنا صفحات طوال من أجل الإلمام بهذه الغاية.

أ ــ عباس الجراري باحثا:

يخال الناظر للبحوث الكثيرة التي أنجزها عباس الجراري، أنه متفرغ للبحث، ليس له أنشطة أخرى غيره،وهذا الظن ينسحب حتى على حقول المعرفة التي انكب للبحث فيها واعتكف،وهذا ما جعل عبد العزيز بن عبد الجليل يخال الجراري متفرغا للبحث في قضية واحدة، هي قضية موسيقى الملحون، يقول:«ولعل لقائل أن يقول: إن الدكتور الجراري متفرغ للملحون وقضاياه، حتى كاد يستوعب كل وقته وطاقته، يدل على ذلك وفرة ما ألفه في هذا الفن،بدءا بأطروحته المسماة: "الزجل في المغرب، القصيدة"، وانتقالا إلى "معجم مصطلحات الملحون"»[1]،واسترسل ابن عبد الجليل في عد مشاريع الجراري الخاصة بفرع موسيقي مغربي واحد، هو الملحون، فكيف لو أضيفت له فروع موسيقية أخرى! اهتم بها البحاثة مثل الموسيقى الأندلسية، التي لها نصيب واسع من فكر الباحث وإنتاجه، والدائرة ستتسع لتشمل حقولا معرفية عديدة، أطال عباس الجراري البحث فيها، منها: قضايا أدبية قديمة وحديثة،وقضايا دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية ولغوية، إضافة إلى إشرافه لعقود على الأطروحات الجامعية لطلبة مغاربة وأجانب، حتى إن الدكتور محمد خليل في بحثه:" جهود عباس الجراري في تكوين الباحثين

[1]ـ قيم النهوض الحضاري للعالم الإسلامي من خلال آثار الدكتور عباس الجراري، تنسيق وإخراج مصطفى الجوهري،دار أبي رقراق، ط1، 2019، ص: 278.

الجامعيين" جزم بأن «العلامة عباس الجراري، يأتي في الدرجة الأولى بالنسبة للأساتذة المشرفين على الرسائل الجامعية والأطروحات، منذ أن تأسست كلية الرباط عام سبع وخمسين إلى متم عام تسع وثمانين»[1]؛حتى أضحى مدرسة مكتملة الأركان في البحث والدراسة، وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن حوطش في مقال له بعنوان:"منهج البحث عند الدكتور عباس الجراري" أن منهج الجراري في البحث يقوم على مقومات منها:

ـــ الرؤية العلمية الواضحة والدقيقة؛

ـــالتسلح بثقافة منهجية شاملة وعدة وثائقية غنية؛

ـــ القدرة الفائقة على تصور الموضوع وبسط مفاهيمه.

ثم يقدم حوطش بعد ذلك بعض خصائص العمل البحثي عند الدكتور عباس الجراري، منها:

ـــ الحبكة القوية في أسلوب العرض؛

ـــ الاقتصار على ما هو ضروري في البحث؛

ـــ عدم الميل لهوى، أو تعصب لجهة ما؛

ـ التتبع الدقيق للفكرة في كافة تفاصيلها، دون قنوع بالسطح إذ مبتغاه العمق والإحاطة[2].

---

[1] ـ مقال: الدكتور عباس الجراري عالم خصب وواجهات متكاملة، جمال بنسليمان، ضمن كتاب: زهرة الآس في فضائل العباس، تأليف جماعي، ج1،دار المناهل، 1997،ص: 46.

[2] ـ مقال:منهج البحث عند الدكتور عباس الجراري مقوماته وخصائصه: عبد الرحمان حوطش، ضمن كتاب: زهرة الآس في فضائل العباس"، ج1، دار المناهل، 1997، (م.س)، ص: 212 ــ 222 ــ بتصرف.

ب ـ عباس الجراري أديبا:

تجزم الدكتورة ربيعة بنويس في مقالها:"التجربة الشعرية عند الدكتور عباس الجراري"، بأن:«الدكتور عباس الجراري هو عميد الأدب المغربي بلا منازع»[1].

ولقب العمادة الأدبية ليس سهلا، إذ لم يسبق أن منح إلا لطه حسين في مصر، وبعض الأحايين في المغرب لعبد الكريم غلاب،واستحقاق عباس الجراري لهذا اللقب نابع أولا لكونه باحثا، دافع وكافح من أجل إدخال درس الأدب المغربي إلى الجامعة المغربية، بعدما كانت السيطرة للأدب المشرقي،وكذلك لكونه جمع بين الدراسات في مجال الأدب، والتي تعد بالعشرات، وبين كونه مبدعا من جهة أخرى، أبدع في فن الرحلة،فصدر له منها كتاب: "ثلاثون يوما في الولايات المتحدة الأمريكية"، كما أبدع في فن التراسل الأدبي كتاب: "نسيم البوسفور،رحلة عباس الجراري"، أما في القول الشعري، فله فيه دواوين، منها "أشواق"، و"مع حبي ورضاي"، و"إخوانيات ومساجلات"،وقد جمع محمد حميدة أغلب هذا الإبداع الشعري في ديوان من جزئيين، تحت عنوان:"من ديوان عباس الجراري"، هذا الديوان ينقسم من حيث موضوعات قصائده إلى شعر غزل، والذي نالت منه حميدة زوجته نصيب الأسد، ثم شعر حب الأبناء والشوق إليهم، وثالثا شعر المدح، وهو شعر سلطاني في أغلبه، ورابعا شعر الرثاء، إضافة إلى قصائد في أغراض أخرى، مثل المساجلات التي كانت بينه وبين مجموعة من الشعراء، الذين ترددوا على

[1]ـ عباس الجراري شاعرا، إعداد وتنسيق وتقديم محمد حميدة، دار أبي رقراق، 2018،ص: 125.

النادي الجراري[1]، هذا النادي الذي لا يكاد يذكر الشاعر عباس الجراري إلا ذكر، فهو منتداه وعكاظه: «فالنادي الجراري، أو "زهرة الآس" كان مرتعا للشعر والشعراء الذين تبادلوا القوافي والمساجلات، ففيه قيلت أجود القصائد، وفيه كذلك تنوولت قضايا الشعر والشعراء، ومنه انبثقت المدح والمجاملات، ومن ذلك قول الشاعر مصطفى الشليح:

وإن حـبي لعبـاس ومجلسـه والجلة الصيد بالإبداع قد عبقا
أكرم بزهرة آس لا سمي لهـا من الأزاهر إن خلقا وإن خلقـا

فيجيبه الدكتور عباس الجراري مثنيا على براعته في النظم والنثر، منعطفا إلى الحديث عن أعضاء النادي واصفا إياهم بأنهم إخوان الصفا والود، وأنهم زينة مجلس زهرة الآس بما فاضت به قرائحهم، يقول:

أنـت المـوفي لحـق فـات أو لحقـا يـا مصـطفى ولسـان القلـب قـد نطقـا
بالحـب تسـكبه شـعرا وتنثـره مثـل الأزاهـر فواحـا بـه عبقـا
فالشـعر عنـدك معشـوق تـدلّه والنثـر نفثـة سـحر صـغتها نسـقا
أبـرزت زهـرة آس كنـت راعيهـا إذ أنت مع جلة الأصحاب والرفقا»[2].

ج ـ عباس الجراري خطيبا:

لم تنل الخطابة بفروعها العديدة،ـ ومنها الخطبة المنبرية ـ الاهتمام الكافي في أدبنا المغربي القديم منه والحديث كذلك،المطبوع منها قليل،

---

[1]ـ نفسه، مقال: التجربة الشعرية عند الدكتور عباس الجراري، الدكتورة ربيعة بنويس، ص: 125 ـ 160ـ بتصرف.

[2]ـ مقال: في المساجلة ود وتقدير وموضوعات أخرى، الدكتورة ربيعة بنويس، من كتاب: الأدب المغربي الحديث والمعاصر أسئلة وقضايا، كتاب جماعي، نشر مشترك: النادي الجراري: 93 وماستر: الأدب العربي بالمغرب الحديث والمعاصر التاريخ والخطاب، 2020، ص: 149.

والدراسات النقدية حولها أقل، لهذا يحمد للدكتورة "حميدة الصايغ" حرصها على جمع ما ألقى زوجها الدكتور عباس الجراري من خطب منبرية، وإصدارها في دواوين، وصل ما طبع منها إلى ثلاثة، واللافت أن العناية بهذه الدواوين كانت نسائية خالصة، ثلاث نساء هن: إلهام المتمسك، محققة ديوانين منه، وخديجة العسرى، التي جمعت الجزء الثالث، وزوجة الخطيب حميدة الصايغ الجراري، صاحبة فكرة إصدار أجزاء ديوان الخطب، وكاتبة مقدماتها.

في مقدمة الجزء الأول من ديوان هذه الخطب، تذكر الدكتورة حميدة بعض سمات خطبة الجمعة عند عباس الجراري، منها:

ـــ أنه كان يتناول موضوعات الساعة؛

ـــ أنه كان يرتجل خطبه ويترك ليديه حريه الحركة؛

ـــ أن أسلوب الخطيب – كتابته – سهل ممتنع، يصل إلى أفهام الحاضرين على مختلف مستوياتهم[1].

«لقد استطاع الخطيب عباس الجراري في ظرف ست سنوات من عمر المسجد، أن يؤسس مدرسة جرارية في الخطابة، قائمة بذاتها، بحكم الرباط الذي توطدت لبناته بين الخطيب وجمهور المصلين، بعد أن وجدت الجماعة المؤمنة ضالتها»[2].

---

[1]ـ من مقدمة "خطب منبرية"، عباس الجراري، ج1، دار السلام، ط1، 2012 ص: 10ـــ12؛ بتصرف.

[2]ـ مقال: الدكتور عباس الجراري عالم خصب وواجهات متكاملة، جمال بنسليمان، ضمن كتاب: زهرة الآس في فضائل العباس، ج1، (م.س)، ص: 58.

إنها حقا مدرسة ستساهم مع غيرها من مدارس الخطابة المغربية الحديثة في رد الاعتبار للخطابة المغربية، التي خفت ذكرها بين أجناس الكتابة الأدبية المؤثرة، ذلك لأن الخطابة الجرارية تحرص على استكمال شروط إنتاج النص الخطابي: «بلغة عربية فصيحة، غير صعبة، ممتنعة، وبطريقة جميلة، تدفع السامع إلى متابعة لذة الإنصات، دون أن تتسرب إلى ذاته النفرة، بعد أن تناغمت جاذبية الموضوع مع جاذبية الإلقاء، وتصافح الشاهد القرآني بالشاهد الحديثي، فاتحين الأبواب المشرعة على قضايا المجتمع المغربي والعربي والإسلامي»[1].

[1]ـ نفسه، ص: 58.

الفصل الأول:
مواضيع فكرية، في خطب الدكتور عباس الجراري المنبرية

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: مواضيع دينية.

المبحث الثاني: مواضيع تاريخية.

المبحث الثالث: مواضيع واقعية.

المبحث الأول: مواضيع دينية:

توطئة:

يحرص الخطيب عباس الجراري على تنويع مواضيع خطبه المنبرية، فإلى جانب موضوعات العقيدة، يحضر موضوع الشعائر والعبادات الإسلامية، ثم مواضيع الأخلاق والمعاملات، مع حرص من الخطيب على عدم إغفال المواضيع ذات البعد السياسي والاقتصادي، حيث قدم نظرة شاملة لرؤية الإسلام لمسألة الحكم وانتقال السلطة، وكذلك لمسألة الاقتصاد، دون أن يغفل العلاقات الدولية، والرؤية الإسلامية للآخر.

لكن قلما يخصص الخطيب عباس الجراري ــ على الأقل في ما نشر له من خطب ـــ خطبة كاملة لموضوع يخص العقيدة الإسلامية، لكن جل خطبه تحوي فقرة أول أكثر، تناقش قضية من قضايا العقيدة الإسلامية، وهو حرص منه على جعل قضية العقيدة حاضرة دائما في وجدان متلقيه، لكونها تجيب على أكبر القضايا المبدئية والمصيرية للإنسان المسلم: من أنا ؟ ومن أين جئت ؟ وإلى أين المصير بعد الموت ؟ ولم خلقت ؟ وهل هنالك خالق ؟ وما دلائل وجود عالم الغيب ؟

المطلب الأول: موضوعات العقيدة والإيمان:

1 ــ حقيقة الإيمان:

بيان حقيقة الإيمان وماهيته، من القضايا التي تحتاج بيانا وتوضيحا، إذ كثيرا ما يلتبس مفهومه على الناس مع مفهوم الإسلام، فهل الإيمان إعلان باللسان فقط بالدخول في الإسلام؟أم هو قيام بشعائر إسلامية يعرف بها المؤمن من غيره؟أم الإيمان معرفة ذهنية بحقائق الإيمان ومعتقدات الإسلام؟ يجيب الخطيب عباس الجراري على بعض هذه الأسئلة في خطبة عنوانها "شمولية

الإسلام وتكامله" بقوله: إن «الإيمان بالله قضية أساسية ـــ أيها الإخوة المؤمنون ـ إن علينا أن نفهم حقيقة الإسلام، وأنه كامن في هذا التكامل، أي في هذه الشعب التي بدونها لا يكون الإيمان صحيحا ولا يكون الإسلام حقيقيا ولا تكون أمة إسلامية، وإننا إذا أخذنا بجانب وتركنا آخر، نكون كأولئك الذين أنكر الله عليهم فعلهم، **(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)**[1]، لابد أن نأخذ الإسلام في تكامله وفي شموليته، لأننا أمة مطالبة بأن نقيم شريعة الله، وبأن نُقَوِّمَ أنفسنا، وبأن نُقَيِّمَ مجتمعنا، وبأن نكون خير أمة، والمقياس في ذلك والمرجع هو كتاب الله وسنة رسوله، **(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)**[2]»[3]، يجمع الخطيب في خطبته هذه أمورا ثلاثة، من خلالها تتجلى حقيقة الإيمان؛ أولها اعتقاد نفسي خالص بوجود الله، وثانيها اعتراف باللسان بكونه ربا واحدا لا شريك له، وثالثها عبادته بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وغيرها من الفروض والطاعات.

وهذا الأمر زاده الخطيب توضيحا في خطبة أخرى، حينما ربط الإيمان بالعمل والمعاملة قائلا: «لأن الإيمان وحده لا يكفي، إذ الدين ليس اعتقادا قلبيا أو لسانيا فحسب، ولكنه عمل ومعاملة. يقول تعالى في" سورة العنكبوت": **(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ)**[4]، ويقول عز مِن قائل في

---

[1] ـ البقرة، الآية: 85.

[2] ـ النساء، الآية، 59.

[3] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 288.

[4] ـ العنكبوت: الآية 10.

"سورةِ البقرة": **(وَمِنَ النَّاس مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْم الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)** [1].

وهذا معناه أن الإيمان الحق الصادق لا يكمل إلا بالعمل الصالح، وإلا فهو إيمان ناقص وباطل. ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى في" سورة فصلت" بعد آيتين من التي نحن بصددها وفي سياق الحديث عن الاستقامة: **(وَمَن أَحسَنُ قَولا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسلِمِينَ)** [2] [3]، وهذا يصحح مفهوما شاع عند كثير من الناس، حين أفرغوا التدين من كل التزام فيه مشقة وكل عبادة فيها كلفة، وجعلوه عبارة عن اعتقادات قلبية ليس فيها عمل يصدق اعتقادهم، دون انتباه إلى أن الإسلام اعتقاد وقول وعمل، وهو ما يسميه الإسلام تكليفا، أي عمل فيه كلفة ومشقة محتملة، مثل العبادات العملية من صلاة وصيام وحج.

2 ــ مزايا العقيدة الإسلامية:

تمتاز العقيدة الإسلامية بمزايا وخصائص تجعلها محببة للنفس البشرية، مجيبة على أسئلتها، مزيلة حيرتها وقلقها، يوضح الخطيب بعض هذه الخصائص حينما يبين أن العقيدة الإسلامية هي عقيدة جاءت لتحرير الإنسان من أمرين اثنين: «الإسلام ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ جاء ليحرر الإنسان من أمرين اثنين:

---

[1] ـ البقرة، الآية: 8ــ9.

[2] ـ فصلت، الآية: 33.

[3] ــ خطب منبرية، ج2، ص: 201.

الأمر الأول: جاء ليحرره من الشرك،

الأمر الثاني: جاء ليحرره من الجهل.

أما التحرير من الشرك فهو الدعوة إلى الله تعالى وحده، وألا نعبد إلا إياه، وأنه هو الخالق، والرزاق، والمعطي، والمانع.

لماذا جاءت الدعوة إلى التوحيد؟ لأن الإنسان ولأن الشعوب سواء في وقت ظهور الإسلام أو حتى قبله وبعده،كانت تشرك بالله، ولعلها مازالت تشرك بالله، كان الناس يعبدون الأصنام، وجاء الإسلام يكسر هذه الأصنام، ويكشف للناس أنها لا تضر ولا تنفع»[1]، الأمر الثاني: هو كونها عقيدة تدعو للعلم: **(فَاعلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ)**[2]؛ بالعلم يعرف المسلم ربه، فلا عقيدة كاملة بدون علم،«ثم الأمر الثاني: وهو محاربة الجهل بالعلم، لماذا؟ لأن الإسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات ويدخلهم إلى النور،ولا يكون نور إلا بالعلم، ولهذا الله تبارك وتعالى حين أراد أن يستخلف ـــ وهذا أمر سبق لنا أن أشرنا إليه ـــ دعا الملائكة، قال لهم إني سأجعل خليفة، فاستغربوا لذلك، ولكنه جعل الخلافة في الإنسان، لماذا؟ لأنه رزقه العلم، واقتنع الملائكة بأن الإنسان هو الخليفة بالعلم، الذي منحه تبارك وتعالى إياه: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)**[3]»[4]، ثم هي

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 106.

[2] ـ محمد، الآية: 19.

[3]ـ البقرة، الآية: 30.

[4]ـ خطب منبرية،ج 2، ص: 106.

إضافة لهذا وذاك، عقيدة تحرر الإنسان من عبادة الشهوات، كما تحرره من ضعفه أمام نفسه وهواه، يقول: «كذلك حارب الإسلام عبادة الهوى، وأهواء النفس، وشهوات النفس ونزواتها، وما أخطرها على الإنسان: (أَرَءَيتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَاهُ)[1]، إدانة من القرآن الكريم للذي يعبد شهواته ونزواته ويقع تحت ضعفها»[2]، فالعقيدة عند الدكتور الجراري دعوة لتوحيد المعبود الذي هو الله سبحانه، حتى لا يعبد الإنسان هواه وشهواته، وهي كذلك دعوة إلى العلم، الذي به كان الإنسان مستحقا لخلافة الله في أرضه.

3 ـ الإيمان بالقضاء والقدر:

للعقيدة الإسلامية أثر واضح في الرضا بما قدره الله، حينما تقسو الحياة على الإنسان المؤمن، وتتوالى كوارثها عليه، وتهزه زلازلها وأقدارها، تحضر العقيدة الإسلامية مواسية، تساعد المسلم على العيش في أمان، وإن قل الرزق، أو عصفت بهذا الرزق الرزايا والنكبات، ويوضح الخطيب هذا الأمر قائلا: «الأمر الثاني: أننا حين نطرح قضية القدر في هذا الإطار، فإننا نشعر بنوع من الهدوء في النفس ومن الارتياح فيها والطمأنينة، أي أننا لا نصطدم بالمفاجآت التي يخبئها المستقبل، تأملوا قول الله عز وجل، في هذه الآيات الكريمة: **(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَة فِي ٱلأَرضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُم إِلَّا فِي كِتَاب مِّن قَبلِ أَن نَّبرَأَهَا)**[3]»[4]، وفي نفس الإطار، يناقش الخطيب قضية فكرية في هذا المجال،

---

[1] ـ الفرقان، الآية: 34.

[2] ـ خطب منبرية، ج2، ص: 105.

[3] ـ الحديد، الآية: 22.

[4] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 104.

شغلت الناس في هذا العصر، كما شغلت مشركي مكة زمن الوحي،إنها قضية هداية الله لبعض البشر دون غيرهم، فقد حار أولوا الألباب في مكة، كيف يقدر الله عليهم أن يعيشوا مشركين ويموتوا مشركين، ثم يحاسبهم على قدر قدره عليهم؟يقول الخطيب موضحا أن هذا الأمر «شبيه بما كان يقال في عهد رسول اللهﷺ، وكان يردده المشركون.

يقول عز وجل: **(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا)**[1]، أي إذا أراد أن نكون مهديين، **(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا)**، صحيح أن الإسلام وأن الله بعث رسوله وأنبياءه لهداية البشر، فهناك من يؤمن وهناك من يكفر، والله تعالى نفسه يقول: **(فَمَن شَاءَ فَل يُؤمِن وَمَن شَاءَ فَل يَكفُر)**[2]، **(إِنَّا هَدَينَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرا وَإِمَّا كَفُورًا)**[3]، حر في أن يختار الطريق الذي يريد، إما طريق الهداية والإيمان، وإما طريق الشرك والكفر»[4]، وزيادة في توضيح هذه القضية، يشرح الخطيب مفهوم الكسب لدى أهل السنة الأشاعرة، هذا المفهوم الذي يجيب على سؤال: كيف يقدر الله الكفر على إنسان ثم يحاسبه على ما قدر عليه ؟«إننا في نطاق هذا الفهم للقدر، وفي نطاق تصرف الإنسان من حرية وإرادة، في نطاق مشيئة الله، نحن أهل السنة والأشاعرة بصفة خاصة، نعتبر أنفسنا أكثر تأدبا مع الله عز وجل حين نعتبر أن الإنسان له حرية الكسب. ما معنى الكسب؟ إن الإنسان حين يريد أن

---

[1]ـ الأنعام، الآية: 148.

[2]ـ الكهف، الآية: 29.

[3]ـ الإنسان، الآية: 30.

[4]ـ خطب منبرية، ج1، ص:100.

يكسب شيئا؛ فإن الله تبارك وتعالى بإرادته وبمشيئته وبنظامه الذي يسير به الكون يجعله قادرا على أن يقوم بهذا الكسب، ثم في نطاق هذا كله نحن لا نتصور أن يهدي الله القوم الفاسقين والقوم الظالمين، ولا نتصور كذلك أن يظلم الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين»[1].

وقضية خلق أفعال العباد من القضايا التي اختلف فيها المتكلمون المسلمون كثيرا، وقد اتخذ الأشاعرة منهجا وسطا فيها، إذ الإنسان عند أبي الحسن الأشعري ليس مجبرا على فعل الأشياء قدرا، كما أنه ليس حرا يفعل ما يشاء متى شاء،ويختم الخطيب هذا النقاش العقدي قائلا: «إذن هناك حرية في التصرف، في اختيار الإيمان، في اختيار الهداية، وفي اختيار أفعال الخير، كما أن هناك حرية في اختيار العصيان وفي اختيار أفعال الشر، والإنسان مسؤول عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال»[2].

4 ـ حوار العقيدة مع الغرب:

يمتاز عصر العولمة بتلاشي الحواجز الحافظة لكيان الهوية وخصوصياتها، وذلك بفعل قوة الإعلام وسرعة انتقال السلع والثقافات، لهذا أدرج الخطيب قضية الحوار مع الغرب ضمن خطبة حول الانفتاح والتشبه بغير المسلمين، وذلك بمناسبة حلول السنة الميلادية الجديدة،وكذلك بمناسبة انطلاق الحوار العربي الأوروبي على أرض المغرب،إذ يوضح الخطيب أن الحوار لا يمكن أن يكون مثمرا،إلا إذا كان بين طرفين متكافئين، كلاهما يأخذ ويعطي، يؤثر ويتأثر، وهذا يستوجب أن يكون لنا كيان له هوية تميزه عن الآخر، وهذا

---

[1] ـ نفسه، ص: 102.

[2] ـ نفسه، ص: 102.

يستدعي الاحتياط في تقليد الآخر، والتشبه به، يشرح الخطيب الفرق بين التشبه المقبول والمطلوب، وبين التشبه المذموم والمرفوض قائلا: «إذن هذا هو التشبه، وسيأتي من يقول وأي ضرر في أن نتشبه بغيرنا؟ ونحن نتشبه بهم في كل شيء، هذا غير صحيح، هذه قولة مرفوضة، لأننا نحن العرب والمسلمين، ونحن أبناء العالم الثالث المتخلف، نحن لا نقلد المتقدمين إلا في الأشياء القبيحة والأشياء السلبية؛ أما في الأمور الصحيحة فنحن لا نقلدهم، هم أهل العلم، تسلحوا بالبحث العلمي وبالتكنولوجيا فتفوقوا، ونحن في الأمية وفي الجهل غارقون،هم سعوا إلى العمل وإلى الإنتاج وغزونا، وغزوا أسواقنا،ونحن بالاستهلاك قانعون، هم يصححون أخطاءهم ويعالجون أوضاعهم بكل شجاعة، ونحن ننظر إليهم ونبتهج بما يفعلون، ولكننا لا نقلدهم في الأشياء الصحيحة، وإنما نقلدهم في التافه والسلبي منها»[1]، ويسترسل الخطيب موضحا معنى الحوار البناء المتكافئ، مشترطا كونه بين طرفين يتحاوران دون نية غالب ومغلوب،آخذ ومعطي؛ يقول: «ما معنى الحوار؟ هو أن يتقابل الناس وأن يتحاور الناس، وإذا كان من جهة واحدة فإنه لا يسمى حوارا؛ الحوار يكون بين طرفين، وحينما نقول طرفين نعني الأخذ والعطاء، ولا يمكن أن نعطي إلا إذا كانت لنا شخصية وكان لنا كيان، وإلا إذا كانت لنا ذاتية وخصائص نتميز بها، ونستطيع بها أن نحاور الآخر ونطُلعه على ما نريده أن يسمع»[2]، وهنا إشارة من الدكتور الجراري إلى ضرورة امتلاك الأمة رصيدا

---

[1] ـ خطب منبرية، ج 2، ص: 170.

[2] ـ نفسه، ص: 171.

ثقافيا يجمع بين أصالة تراثية، وبين حداثة ثقافية، حتى يكون للحوار مع الآخر معنى وجدوى، فيه أخذ وعطاء، وتبادل حضاري في الثقافة والعلم.

5 ـ الوجود الإنساني في الإسلام:

من الأسئلة الحارقة الخالدة،أسئلة الوجود والمصير، من أين جئت؟ وإلى أين سأذهب بعد الموت؟ وقد كانت لفاجعة موت والدة الخطيب آثار نفسية جعلته يناقش مسألة الوجود الإنساني في خطبته[1]، مبينا أن الإسلام له فلسفة خاصة به في هذا النقاش الوجودي،إذ يقول: «إننا نستطيع أن نميز في هذه الفلسفة بين ثلاث محطات هي :

أولا : الحياة

ثانيا :الموت

ثالثا: ما بعد الموت

وقد لخصها الحق سبحانه في سورة طه، متحدثا عن الأرض:**(مِنهَا خَلَقنَاكُم وَفِيهَا نُعِيدُكُم وَمِنهَا نُخرِجُكُم تَارَةً أُخرَى)**[2]»[3]، يبرز الخطيب نظرة الإسلام للمحطة الأولى؛ محطة الحياة، إذ خلق الإنسان كان لحكمة، ولم يكن عبثا **(وَمَا خَلَقتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعبُدُونِ)**[4]، هذه العبادة هي هدف الوجود، هي كذلك اختبار من الله، الذي خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملا، ثم ينتقل للمرحلة الثانية الموت، الذي بين الحياتين الأولى

---

[1]ـ توفيت والدة الدكتور عباس الجراري يوم 15 ربيع الثاني 1412ه، موافق يوم: 24 أكتوبر 1991م،من موقع عباس الجراري على شبكة الإنترنيت: abbesjirari.com.

[2]ـ طه، الآية: 54.

[3]ـ خطب منبرية، ج3،ص:145ـ146.

[4]ـ الذاريات، الآية 65.

والثانية، ليختم بالمحطة الثالثة وهي عالم الآخرة وما بعد الموت، مؤكدا على قدر الله في أحياء العظام بعد أن تصبح رميما، وكاشفا سر وجود عالم ما بعد الموت،إذ لا معنى لفناء عالم الدنيا دون حساب الظالمين ورد الاعتبار للمظلومين، يقول: «الإنسان حين يبعث، سيحاسب، فيجازى المحسنون بالجنة، ويعاقب المسيئون بالنار، يقول تعالى في سورة طه(**إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخفِيهَا لِتُجزَى كُلُّ نَفسِ بِمَا تَسعَى**)[1]»[2].

6 ــ معجزة الإسراء والمعراج:

تأتي المعجزات عقب تكذيب الأقوام لأنبيائهم، لتكون دليلا على صدق الأنبياء، وحجة على القوم المكذبين بصدق نبوة رسل الله، وهذا ينطبق على معجزة الإسراء والمعراج،إضافة لذلك، هي تكريم للنبي محمدﷺ، وتثبيت لقلبه بعدما عانى معاناة شديدة مع قومه قريش المكذبين بدعوته ونبوته، وقد استهل الخطيب خطبته بحديث عن بعض خصوصيات شهر رجب، الذي يمتاز بكونه من الأشهر الحرم التي حرم القتال فيها، وهو كذلك الشهر الذي وقعت فيه معجزة الإسراء والمعراج، عقب ذلك أجاب الخطيب عن أسئلة مفترضة تحضر كل ما ذكر الإسراء والمعراج، من هذه الأسئلة«هل كان مرة واحدة أول أكثر؟ وفي أي وقت كان؟ وكيف كان البراق الذي حمل رسول اللهﷺ؟ وأين لقي رسول اللهﷺ الأنبياء الذين سبقوه ؟ هل في الأرض أم في

---

[1]ـ طه، الآية: 14.

[2]ـ خطب منبرية، ج3،ص: 148.

السماء؟ثم هل حدث الإسراء والمعراج في اليقظة أم في المنام ؟ وهل وقع هذا الحدث بالجسم أم بالروح أم بهما معا؟»[1].

إن الإجابة على هذه الأسئلة تزيل عوائق التواصل السليم بين المرسل والمستقبل، حينها يكون المتلقي جاهزا ليستمع للحكم التي جاء بها الإسراء، وليأخذ العبر والدروس من هذه المعجزة، من الدروس والعبر التي ذكرت في هذه الخطبة مثلا قوله: «إن حادث الإسراء والمعراج وقع في ظرف كان فيه الرسولﷺ يعاني الكثير من الآلام والأحزان، إلى حد سمي ذلكم العام بعام الحزن، إذ في شهر رمضان منه، وقبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، مات عمه أبو طالب، الذي كان يدافع عنه، ويرد كيد خصومه وأعدائه، وبعد أيام قليلة من موته، ولعلها ثلاثة أو أربعة، توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها، وهي التي كانت له أكبر سند وخير معين على تحمل أعباء الدعوة»[2]، لكن أهم درسين يستفادان من حادثة الإسراء والمعراج، هما:

الدرس الأول: الحكمة من فرض الصلاة والنبي في السماء؛

الدرس الثاني: الحكمة من ربط المسجد الحرام بمكة بالمسجد الأقصى في مدينة القدس بفلسطين، فيه استحضار لأهمية الصلاة، وكذلك تذكير بمركزية قضية الأمة الإسلامية الأولى، قضية احتلال فلسطين، يقول الخطيب: «وقد قصد القرآن الكريم في سورة الإسراء إلى التذكير بمكانة المسجد الأقصى لأسباب منها:

---

[1]ـ خطب منبرية، ج3، ص: 72.

[2]ـ نفسه، ص: 73.

ـ أن العرب كانوا مجمعين على مكانة الكعبة ولم يكونوا يعرفون مقام الأقصى؛

ـ ومنها كذلك أن النصارى نسوا أهمية الأقصى أو تناسوها بسبب موقفهم من اليهود؛

ـ ثم إن اليهود كانوا سلموا فيه ويئسوا من عودتهم إليه.

فما أجدر المسلمين اليوم بعد أن دنست أرض المسجد الأقصى، أن يعوا هذه الذكرى

ـ ذكرى الإسراء والمعراج ــ ويعتبروا أسرارها ومعانيها، ويدركوا ما عليهم أن يقوموا به للحفاظ على المقومات والمقدسات»[1].

7ــ الإيمان والصحة:

ينبه الخطيب عباس الجراري في بداية خطبته حول علاقه الإسلام بالصحة الجسدية والنفسية والخلقية، إلى أن الإسلام خاض معارك ضد التلوث بكل أنواعه، تلوث الجسد وتلوث الروح، وتلوث الفكر والأخلاق، يقول « الإسلام دين الطهارة ودين النظافة، وهو بهذا يحارب التلوث، والرسول عليه الصلاة والسلام كان نظيفا في جسمه، وكان نظيفا في ثيابه، وكان يزين ويرجل شعره ويتطيب، بل إن الطيب كان من الأشياء التي حببت إلى الرسولﷺ، وهو القائل: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ»[2]، الطهور يعني التطهر، والتنظيف شطر الإيمان، أي نصفه أو جزء كبير منه، سواء كان التطهر من الأدناس المادية أو من الأدناس المعنوية، نحن كثيرا ما ننسى الأوساخ المعنوية،

---

[1] ـ نفسه، ص: 85ـ86.

[2] ـ رواه مسلم، كتاب الطهارة، رقم: 223.

وكثيرا ما ننسى الطهارة الفكرية، والطهارة الروحية، والطهارة الشعورية، والطهارة الأخلاقية، كثيرا ما ننسى هذه الطهارة التي تتمثل في أشياء لابد من التنبيه إليها، الابتعاد عن الحرام كيفما كان مصدره، هذا تطهير للنفس، وتطهير للفكر وللروح؛ وكذلك الإسراف في المعيشة أو في الإنفاق أو في كل مظاهر الحياة»[1]، وهذا معناه،أن الإسلام حريص على أن يعيش المسلم في بيئة صحية طاهرة سليمة، بعيدا عن كل ما يضر جسمه أو أخلاقه أو فكره أو روحه، وهو التفات منه إلى أنواع من التلوث التي تدمر الصحة الفكرية والروحية للمجتمع،لا يلتفت إلى خطرها كثير من الدعاة والمصلحين، يقول في ختام هذا الموضوع:«ما أحوجنا إذن ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ إلى أن نطهر أجسامنا، وأن نطهر كذلك أرواحنا، وذلكم هو محاربة التلوث الحقيقي، التلوث في معناه المادي، والتلوث في جانبه المعنوي. ونحن حين نتحدث عن البيئة وعن المحافظة عن البيئة ننسى دائما، البيئة المعنوية، والبيئة الفكرية، والبيئة الروحية، والسلوك، والأخلاق»[2].

8 ــ بين الإيمان والعلم:

استأثرت قضايا التربية والتعليم باهتمام الدكتور عباس الجراري في خطبه،حيث خصص لها خطبا عديدة، وعالجها من زوايا متعددة،خصوصا عندما يحل الدخول المدرسي والجامعي،وهنا يستحضر الخطيب قضايا مثل أهمية عنصر التربية، وقضية اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء، وشرف مهنة التعليم، وغيرها من المواضيع التربوية التعليمية.

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص:177.

[2]ـ نفسه،ص: 178.

يلاحظ القارئ لخطب عباس الجراري،أنه يحمل هما ثقيلا حول هذا الموضوع، وأنه يراه مدخل كل إصلاح ونهضة، مثاله قوله: «بعد يومين، ستفتح المدارس والجامعات أبوابها لاستقبال التلاميذ والطلاب من كل المستويات، وما من بيت وما من شخص إلا وهو مهموم بهذا الدخول المدرسي والجامعي، وإن في النفس كلاما كثيرا نريد أن نقوله بمناسبة هذا الدخول، وقد تتاح الفرصة فيما بعد، ولكننا سنقتصر اليوم على قضية ــ طالما تحدثنا عنها مرتبطة بالعلم ــ وهي قضية الصلة بين العلم والإيمان»[1]،والربط هنا بين قضية التعليم وبين قضية الإيمان، هو علاج لظواهر تطرأ بفعل العولمة الفكرية،وضعف الحصانة الإيمانية، خصوصا وأن الخطيب له صلة وثيقة بميدان التربية والتعليم،جعلته مطلعا ومراقبا لكل خلل فكري يظهر في فكر طلبته ومتعلميه، يقول واصفا هذا الواقع: «إن كثيرا من المتعلمين، كثيرا من شبابنا، سواء أكانوا طلابا أم معلمين أم أستاذة، كثيرا من هؤلاء يظنون أن العلم نقيض الإيمان، وأن الفكر العلمي لا يمكن أن يلتقي مع الفكر الديني، شيء مؤسف أن تروج مثل هذه الأفكار، وأن يتلقاها طلابنا.

في بعض ما هو مقرر في المدارس والجامعات بأسف شديد، أن الفكر الديني هو فكر متخلف عن الفكر العلمي الذي هو سابق عليه وأنه ــ أي الفكر الديني ــ يمثل مرحلة بين الخرافة والعلم، إن الأمر ليس كذلك أيها الإخوة المؤمنون»[2].

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 155.

[2]ـ نفسه، ص: 155.

بعد هذا، يسترسل الخطيب في بيان أهمية النظر في الكون المنظور، والتأمل في الخلق لتقوية الإيمان بالكتاب المسطور، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في آيات كثيرة منه.

9 ـ الإيمان والسعادة:

السعادة من أهم مطالب الإنسان في هذه الحياة،إن لم تكن أهمها، يبحث عنها الغني والفقير والحاكم والمحكوم، لكن السؤال الذي اختلفت إجابات الفلاسفة والحكماء حوله: أين يجد الإنسان سعادته؟الإجابة على هذا السؤال أساس خطبة ألقاها عباس الجراري، يدعو فيها إلى التوسط في كل شيء، إلى الاعتدال في العبادة، وفي معاملة الناس، وفي المعيشة، وفي غيرها من دروب الحياة،يقول: «فإن هذه السعادة التي يشعر بها الإنسان في نفسه، وتكون طمأنينة واستقرارا وراحة، ويزول معها الخوف والحزن، لا بد أن تتبلور في سلوك الإنسان، فالله تبارك وتعالى جعل لنا في حياتنا منهاجا، وجعل لنا مقياسا في هذا المنهاج، هو الذي يساعدنا على أن نبلور سلوكنا بالطريق الصحيح، تلكم هي الوسطية، وذلكم هو الاعتدال في كل شيء، روح المنهج الإسلامي هو الوسط وهو الاعتدال، أي عدم الغلو وعدم المبالغة وعدم الإسراف، نحن مطالبون بهذا التوسط في عبادة الله، ومطالبون به في معاملة الناس، ومطالبون بالتوسط كذلك في حياتنا، وفي معيشتنا، وفي نمط هذه المعيشة»[1].

الطريق واضحة في نظر الخطيب،فطريق السعادة هو الاعتدال،هو الاقتصاد في كل شيء،هو الجمع بين المادة والروح، بين متطلبات الأرواح: من إيمان وأخلاق وعبادات، وبين متطلبات الأجساد: من مال وماديات

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص:116.

المعيشة،وهذه الخطبة مثل كثير من خطب عباس الجراري كانت المناسبة شرطا في إلقائها، والمناسبة هنا هي الأزمة الاقتصادية التي ألمت بالمغاربة بداية تسعينات القرن الماضي، وما لاحظه الخطيب من مظاهر متباينة، منها أن الفقراء يشعرون بأن الأزمة تؤثر على فرص سعادتهم وعيشهم،أما الأغنياء فقد لاحظ الخطيب إسرافهم المعتاد، وبذخهم المتواصل زمن الأزمة والدعوة للتقشف،كأنهم يعتبرون مفتاح السعادة هو المال والمتع الحسية،ويصف الخطيب هذا الواقع قائلا: «الأزمة نشعر بها جميعا، يشعر بها كل فرد منا، وهي إلى جانب هذا كله كامنة في الإسراف وفي التبذير، نحن كمواطنين، ونحن كحكومة، نبذر ونسرف، أي ننفق في الكماليات، وننفق في البذخ، وننفق من أجل التباهي، ومن أجل التنافس، ومن أجل التعاظم، والتفاخر، هذا هو سبب الأزمة، سواء بالنسبة للأفراد، أو بالنسبة للمؤسسات»[1].

10 ـ العقيدة الإسلامية هوية:

يعرف الدكتور عباس الجراري مصطلح" الهوية" قائلا:« وأما الهوية، فما به الشيء هو هو، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته، ومن حيث تفرده عن غيره»[2]، والهوية عند الخطيب عباس الجراري لها مقومات ومكونات، من أهم مكوناتها الدين واللغة،وهما مرتبطان متكاملان، ذلك لأن الدين المتمثل في القرآن الكريم نزل باللغة العربية،وهنا يستحضر الخطيب ارتباطا آخر بين مكوني الهوية: الدين واللغة، هذا الارتباط يتمثل في أن معجزة النبي محمدﷺارتبطت بما برع فيه العرب حينها،إذ كانوا أهل فصاحة

---

[1]ـ نفسه، ص: 119.

[2]ـ الثقافة من الهوية إلى الحوار، عباس الجراري، المعارف الجديدة، ط 1، 1993، ص:12.

وخطابة وشعر، لذلك كان من أكبر أوجه إعجاز القرآن الإعجاز البياني، فكان البيان خادما للعقيدة والدعوة الإسلامية، يقول الخطيب مبينا هوية المغاربة: «إننا حين نتأمل قضية الهوية بالنسبة للعرب والمسلمين، وبالنسبة لنا نحن المغاربة، نجد أن هذه الهوية لها مكونات ولها مقومات، في طليعتها الدين واللغة، الدين؛ أي الإسلام، واللغة؛ أي اللغة العربية، وإن من حسن حظنا نحن المسلمين أن الله تبارك وتعالى جعل هذين المقومين مرتبطين: الدين واللغة، من خلال القرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية»[1]، وفي سبيل الحفاظ على مكونات الهوية ومقوماتها، يحذر الخطيب من التفريط في الدين واللغة،فيقول: «ونحن سنحاسب على تفريطنا في الدين وفي اللغة، وعلى عدم استثمارنا لما تركه لنا الأسلاف الصالحون من حضارة وثقافة، وكذا على الوضع المزري، الذي نعانيه غير محاولين تغييره»[2]، والتفريط في مقومات الهوية المغربية أمر حذر منه الدكتور الجراري في كثير من كتبه، لأن العناية بمقومات الهوية تحقق تفرد الحضارة المغربية عن غيرها، وتكسبها مناعة من الذوبان في الحضارات الأخرى، خصوصا في زمن العولمة، وحول أهمية مكوني الدين واللغة في حفظ الهوية المغربية يقول: «من هنا يبرز المقوم الديني الذي أجمع المغاربة عليه، إذ به حققوا وجودهم وكيانهم، وحددوا ملامح ذاتهم وشخصيتهم، وهم لهذا لم يكتفوا باتخاذه عقيدة وتشريعا يلتزمون به في عبادتهم ومعاملاتهم، ولكنهم توسلوا به في تحديد مفاهيمهم وضبط تصوراتهم، باعتباره قاعدة سلوكية ومقياسا به يميزون.

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 93.

[2]ـ نفسه، ج3، ص: 92.

وزادوا فاعتبروا اللغة العربية ليست فقط أداة تواصل إلى جانب اللهجات المحلية، ولكنها تتجاوز كونها كذلك لتصبح رمز الذات وما تلتزم به من قيم ومقومات وإحساسا باطنيا بهذه الذات،طالما أنها لغة القرآن الكريم وتراث الإسلام، وأنها وعاء ما تبدعه من مشاعر ومعارف وخبرات، يكاد التراث الثقافي والحضاري في تكامله أن يكون جامعها الأمين، والمعبر الصادق عن أنماطها المخلفة»[1].

المطلب الثاني: العبادات الإسلامية، قداسة الزمان والمكان:

عبادات الإسلام هي شعائر حددها الشرع ورسم طرق أدائها، والهدف منها التقرب إلى الله تعالى، كما حدد لها أوقات او أماكن لأدائها، وقد حرص الخطيب عباس الجراري في خطب هذا المبحث على الجمع بين التعليم والتقويم؛ تعليم المتلقين كيفية أداء هذه الشعائر والطرق الأجمل للتقرب إلى الله بها، ولأن التدين فعل بشري يعتريه النقص والخلل، حرص الخطيب على تقويم اعوجاج أداء الناس لهذه العبادات، وتصحيح المفاهيم حول معنى العبادة في الإسلام، ولأهمية موضوع العبادة، خصص له خطبا، أو أجزاء منها، كما خصص خطبة يمكن اعتبارها مفتاحا لهذا المبحث، عنوانها:"تفضيل بعض الأمكنة والأزمنة"، افتتحها بتوضيح معنى العبادة في الإسلام، مبينا أن أساس العبادة هو توحيد الله،ومصححا بعد ذلك مفهوما يحصر العبادة في شعائر وواجبات دينية فقط،لهذا نراه يعتبر المسلم في عبادته طالما قصد وجه الله، يقول الخطيب:«الإنسان ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ في عبادة دائمة سواء أكان

---

[1]ـ من قضايا الهوية الوطنية، عباس الجراري، منشورات النادي الجراري 58، مكتبة دار السلام، ط1، 2013، ص: 20.

بصدد أداء واجباته الدينية، أم كان في عمله بالإدارة، أم بالمصنع، أم بالمتجر، أم كان في قضاء حوائجه وحوائج بيته وأسرته، طالما أنه في هذه الأعمال كلها يقصد وجه الله تبارك وتعالى، وحتى لا تكون عبادة الله أو حتى لا تكون واجباته الدينية سببا في إيقاع الخلل بين هذه الواجبات، وبين مسؤولية الإنسان العادي في واجباته»[1]، ثم بعد هذا، أشار إلى أن الإسلام حرص على تنظيم هذه العبادة،فجعل لها أوقاتا معينة وأمكنة معلومة: «إن الله تبارك وتعالى نظم العبادة، ومن تنظيمه لها أن جعل لها أزمنة وأمكنة معينة، بل إنه تبارك وتعالى فضل بعض الأمكنة وبعض الأزمنة، إما لأنها وقت ومكان للعبادة، وإما لأنها تحمل ذكرى كبيرة عطرة»[2].

1ـ قدسية الأمكنة:

يعتبر الخطيب تقديس الإسلام للأمكنة تخليدا لها، والهدف من هذا التقديس،إما للعبادة وإما للذكرى، ومعناه أن المكان المقدس،إما أن يقدس ويعظم لكونه مكان أداء شعيرة تعبدية، مثل المسجد الحرام الذي جعله الله مكانا لأداء شعائر عبادة الحج،وإما أن يقدس لأنه يحمل ذكريات عن أحداث وقعت للأنبياء، ترتبط بذلك المكان، مثل المسجد الأقصى الذي كان مثوى لعدد من الأنبياء، ومثل الوادي المقدس طوى، الذي وقف فيه موسى لتلقي الوحي، يقول الجراري: «أمكنة كثيرة فضلها الله تبارك وتعالى، ويمكن أن نضيف إليها ذلكم المكان الذي وقف فيه موسى يتلقى الوحي، **(فَلَمَّا أَتَاهَا)**: أي موسى حين أتى النار التي بدت له، **(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَٱخلَع**

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 246.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 247.

نَعلَيكَ إِنَّكَ بِالوَادِ ٱلمُقَدَّسِ طُوًى)، (إِنَّكَ بِالوَادِ ٱلمُقَدَّسِ طُوًى)[1]، بعد أن قطعه وبعد أن طواه موسى عليه السلام، وصعد إلى مكان مرتفع لتلقي الوحي، وهذا المكان يوجد بالشام بالقرب من الطور»[2].

أ ــ رسالة المسجد:

خص الخطيب هذا الموضوع بخطبة كاملة، تحدث في الجزء الأول عن فضل بناء المساجد، وكانت أول خطبة ألقاها الخطيب في المسجد الذي عينه فيه الملك الحسن الثاني رحمه الله، الذي هو باني هذا المسجد: "مسجد للا سكينة" بالرباط؛ وبناء المساجد صدقة جارية كما أورد الخطيب في الخطبة، يقول الخطيب: «وبالنسبة للمسجد، يكتب الله الأجر لبانيه، بكل تكبيرة، وبكل ركعة، وبكل سجدة، وبكل تسبيحة يتردد صداها في أبهاء هذا المسجد، ولهذا لا عجب أن يكون الله قد جعل الجنة جزاء لهذا الباني»[3]،أما عن موضوع : "رسالة المسجد وأدواره في حياه المسلم"، فقد كان الخطيب حريصا على بيان الأدوار الحضارية للإسلام عموما وتاريخ المغرب خصوصا، إذ المسجد قلب المدينة الإسلامية،فبالإضافة للدور الأساس للمسجد الذي هو مكان للعبادة وللصلة بالله تعالى، هنالك دور لا يقل أهمية، وهو كونه مدرسة وجامعة لتلقي العلوم والمعارف،ويضرب لذلك مثالا قائلا: «ففي القرويين، وفي القرن العاشر الميلادي، أي منذ عشرة قرون، كان يفد إلى القرويين طلاب من أوربا وغيرها لتلقي العلوم الشرعية، نشير منهم إلى: "جيربير دورياك" Gerbert d'Aurillac

---

[1]ـ طه، الآية: 12.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 248.

[3]ـ نفسه. ص: 29ـ30.

من أكيتان، وهي منطقة في جنوب فرنســا، "جيربير" هذا هو الذي سيصبح "بابا" وسيحمل لقب: "سلفستر الثاني" Sylvestre II، "البابا سلفستر الثاني"، جاء إلى القرويين وتعلم فيها، إذ درس الرياضيات والحساب، وهو الذي نقل الأرقام العربية إلى أوربا»[1]، وحتى لا يظن أن الدور الرسالي التعليمي للمسجد أصبح ذكرى من الماضي، نبه الخطيب إلى أن هنالك مساعي لإحياء رسالة المسجد التعليمية قائلا: «وإننا نسأل الله عز وجل أن تعود للمسجد رسالته، هذه الرسالة المتشعبة المتعددة التي يفيد منها كل المواطنين، وذلكم وفق رغبة مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، الذي أمر بإحياء الكراسي العلمية، ليفيد منها العلماء، ويفيد منها الطلاب، ويفيد منها عامة الشعب كذلك، وليس فقط أنه أمر بإحياء الكراسي، ولكنه أمر بتشجيع علمائها، وبتشجيع الطلاب المترددين عليها كذلك»[2].

ب ــ البيت الحرام:

لا منافاة ولا تعارض بين دعوة الإسلام لتوحيد الله، وبين دعوته لتقديس بعض الأمكنة والأشياء، مثل الكعبة والحجر والأسود،إذ هذا المكان وضع في الأساس لتوحيد الله، كما أن بركة هذه الأماكن ترجع لسبب معين،إما لكونها أو لمسجد، أو لأنها تذكر بمن مر بها من الأنبياء، يقول عباس الجراري في خطبته: «بكة اسم لمكة، والمقصود بالبيت الذي ببكة هو الكعبة، الكعبة المشرفة التي بارك الله فيها، لماذا هذه المباركة؟ لماذا جعل الله البيت الحرام مباركا وجعله هدى للعالمين؟ الذي بنى هذا البيت وأسسه هو إبراهيم الخليل

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 32.

[2]ـ نفسه، ـ ص: 33.

وولده إسماعيل عليهما السلام، وزادت بركة هذا البيت أن سيدنا محمداﷺ هو الذي وضع بيده الحجر الأسود في أحد أركانه، ثم إن هذه البركة حادثة، لأن بهذا البيت ترتبط بعض مناسك الحج»[1].

ج ــ القدس والمسجد الأقصى:

لعل في ربط القرآن الكريم بين المسجد الحرام بمكة، والمسجد الأقصى ببيت المقدس في آية واحدة، تذكير المسلمين بعدم التفريط في فلسطين المحتلة، خصوصا مسجدها الأقصى، إذ الباني واحد وهو إبراهيم عليه السلام،ويوضح الخطيب هذا الارتباط وذلك التذكير بعدم التفريط قائلا:«بيت المقدس الذي ننتهز هذه المناسبة وندعو الله أن يحرره ويحرر أرضه،كان فيه محراب داوود، وكان فيه مصلى النبي سليمان عليهم السلام أجمعين، ثم في هذه الأرض الطيبة صلى كثير من الأنبياء، وفي هذه الأرض الطيبة كذلك دفن غير قليل من الأنبياء، ثم توجت هذه البركة بأن أسرى الله تبارك وتعالى برسولنا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»[2].

2 ــ قدسية الزمان:

تفضيل أزمنة على أخرى، وإضفاء البركة عليها، راجع لكونها وقتا للعبادة، أو لكونها تضبط وقت هذه العبادة،ففي القرآن حديث عن الأهلة التي تضبط مواقيت الحج وشهوره، كما فيه حديث عن أوقات الصلاة، وعن كيفية معرفة بداية شهر الصوم.

---

[1]ـ نفسه، ص: 247.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 249.

أ ــ وقت النداء للصلاة:

رغم أن تفضيل أوقات الصلاة مبين في الحديث النبوي بصورة مفصلة، إلا أن القرآن الكريم عني بهذا الأمر كذلك، إذ فيه إشارات لكل أوقات الصلاة إجمالا وتفصيلا، يوضح هذا الأمر عباس الجراري قائلا: «يقول عز وجل: **(أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمسِ إِلَى غَسَقِ ٱلَّيلِ وَقُرءَانَ ٱلفَجرِ إِنَّ قُرءَانَ ٱلفَجرِ كَانَ مَشهُودا)** [1]، الدلوك، **(لِدُلُوكِ ٱلشَّمسِ)**: أي زوالها أو ميلها أو غروبها، وبذلك أشار الحق سبحانه إلى صلاة الظهر، وإلى صلاة العصر، وصلاة المغرب، أما صلاة الغسق، **(غَسَقِ ٱلَّيلِ)**: أي ظلمة الليل، فهي صلاة العشاء؛ وبعد ذلك تبقى صلاة الصبح أو صلاة الفجر، قال عنها الحق سبحانه: **(وقُرءَانَ ٱلفَجرِ)**» [2].

ب ــ شهر رمضان:

حظي شهر رمضان في خطب عباس الجراري بمكانة خاصة، إذ تحدث في خطب عديدة عن فضائله وانتصارات المسلمين في غزوات وقعت والناس صيام، كما لم ينس تنبيه الصائمين إلى تصرفات سيئة يقع فيها بعض الصائمين، وبركة شهر رمضان مستمدة من بركه القرآن الكريم، الذي أنزل في ليلة القدر، يقول الخطيب عن الفرق بين صيام المسلمين وغيرهم«ويقول: **(كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** [3]: من أهل الكتاب، أي من اليهود ومن النصارى، أي أن الصيام نتفق معهم في كونه واجبا، وفي مفهومه، ولكن لا

---

[1] ـ الإسراء، الآية: 78.

[2] ـ خطب منبرية، ج1، ص 249.

[3] ـ البقرة، الآية: 83.

نتفق معهم في كيفيته، أي كيف نصوم نحن رمضان »[1]، فالصيام من أقدم التشريعات السماوية كما نص على ذلك القرآن الكرم في الآية السابقة، ويشير الجراري كذلك إلى حرص القرآن على تذكير أهل الكتاب بوجود قواسم مشتركة مع دين الإسلام، فالأديان السماوية متفقة على مفهوم الصيام وكونه واجبا، ولكن اختلاف حاصل في تفاصيل الشعيرة وكيفية أدائها.

المطلب الثالث: الإسلام، تزكية وأخلاق ومعاملات:

1 ــ الاستقامة والصدق:

يعرف الخطيب الصدق بقوله: «والصدق أن يكون قولك مطابقا لما تعتقد أنه حق، والصدق أن يكون فعلك مطابقا لما تؤمن به وتعتقده»[2]، ويستشهد على أهمية الصدق وقيمته، وأنه أساس الحياة الإسلامية، بل والحياة الإنسانية بحديث صحيح رواه الشيخان، البخاري ومسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقا»[3]،هذه الخصلة الإسلامية الحميدة، لا يكفي أن يتحلى بها بعض أفراد المجتمع دون الآخرين، بل لابد بعد صدق الفرد من صدق المجتمع بجميع فئاته، لهذا «الآباء والأمهات، يجب ألا يكذبوا على أبنائهم، والمعلمون والأساتذة والعلماء والوعاظ والمرشدون، ينبغي ألا يكذبوا على الناس، والمسؤولون والحكام، والذين يتحملون الأمانة ينبغي ألا يكذبوا على الأمة، ويجعل ختام خطبته دعاء أن يجعل الله أفراد المجتمع

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 151ـ152.

[2]ـ نفسه، ص: 203.

[3]ـ نفسه، ص: 204.

صادقين، وأن يكلل هذه الاستجابة بصدق الوطن كله: «اللهم إنا ندعوك أن تجعلنا من الصادقين، ومع الصادقين، وأن تحفظ لوطننا مصداقيته»[1]، فمدار الخطبة الصدق، ولذلك تكرر لفظ الصدق في الخطبة كثيرا، كما يلاحظ حرص الجراري على ترسيخ مفهوم الصدق العملي عند المتلقين لخطبه، ومنه صدق المعلمين في المدارس، وكذلك صدق الحكام مع الأمة والمواطنين، فالصدق يجب أن يكون حاضرا من أصغر مؤسسة وهي الأسرة إلى أكبر مؤسسة وهي الدولة.

2 ـ الأمانة:

هذا الخلق واسع الدلالة يرمز إلى معاني عدة، أساسه يقظة ضمير المسلم، وشعوره بأنه مسؤول أمام ربه، ثم أمام مجتمعه بحفظ الحقوق وأداء الواجبات، يقول الخطيب معرفا معناها الأول،الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ الأمانة: «الأمانة في معناها الحقيقي المادي، هي ما يسلمه شخص لشخص من مال أو متاع أو غيرهما،ليحفظه له بصفة مؤقتة، إلى أن يطلبها منه ويسترجعها، فيفي بها ولا يضيعها»[2]، ثم يعرف معناها المجازي بقوله: «وهي في معناها المجازي، كل ما يكون على الإنسان أن يرده أو يبلغه وكل ما يكون مسؤولا عنه من عهد ونصيحة وحق وغير ذلك»[3]، هذا المعنى الواسع للأمانة هو ما تشير إليه الآية: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)**[4]،

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 206.

[2]ـ نفسه، ص: 263.

[3]ـ نفسه، ص: 263.

[4]ـ الأحزاب، الآية: 72.

ثم يطلب الخطيب من الحضور مشاركته تأملاته هذه الآية: «تأملوا أيها الإخوة المؤمنون معي قليلا الآية الكريمة،إن الأمانة هنا هي الأمانة العظمى،أي في معناها الشمولي الواسع، الذي يتمثل في الاستخلاف،أي استخلاف الإنسان في الأرض، ليتلقى الشرائع ويؤدي التكاليف ويرعى مصالح الكون، ويتدبر شؤون نفسه»[1]، ويطيل عباس الجراري تأملاته لهذه الآية، لتنسحب على بقية الخطبة، ليخلص إلى نتيجة يعبر عنها بقوله: «إن الأمانة مسؤولية، وهي في المنظور الإسلامي تقوم على التبادل والتكامل وفق تعاقد محكم بين الطرفين المعنيين:

1 ــ الحاكم أو الراعي من جهة؛

2 ــ المحكوم أو الرعية من جهة أخرى.

المطلب الرابع: النظام الاقتصادي والسياسي في الإسلام:

1 ــ النظام الاقتصادي الإسلامي وثنائية الرأسمالية والاشتراكية:

يشير الخطيب في بداية تناوله لهذه القضية إلى أن الإسلام دين متكامل، يهتم بكل شؤون الحياة، وبما أن الجانب الاقتصادي هام في حياة الناس، فقد بين أن الشريعة الإسلامية تعير هذا الجانب اهتماما كبيرا،ثم يرجع إلى واقع الناس ليصحح المفاهيم ويدقق المصطلحات وليوازن بين نظامين تحكما في النظام الاقتصادي العالمي الحديث: النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي،وسيجعل موضوع خطبته موازنة بين النظامين وبيان الوسطية النظام الاقتصادي الإسلامي،الذي جمع فضائل النظامين وتجنب مساوئهما،محاولا الإجابة على سؤال مركزي: أين موقع الإسلام من هذين النظامين؟

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 264.

يقول الجراري في بداية خطبته: «يتحكم اليوم في العالم نظامان اقتصاديان: نظام رأسمالي، ونظام اشتراكي؛ أما الرأسمالية، فإنها تعتمد الملكية الفردية، وتسعى إلى الربح الوفير بجميع الطرق وبأقل كلفة،وتعتمد التنافس في الكسب، والعمل على تكديس الثروة في يد أقلية، ولو بالمبالغة واللجوء إلى المضاربات؛ أما النظام الاشتراكي، فهو يحارب الملكية الفردية، ويجعل الدولة مالكة للإنتاج ولوسائل هذا الإنتاج، فيحد من عنصر المنافسة والتشجيع، ويصبح الإنسان والعامل أداة مجردة يفقد روح المبادرة والتنافس؛ فأين موقع الإسلام من هذين النظامين؟»[1]، سياتي الإسلام ـــ حسب الخطيب ـــ بحل لمشكلة أرقت العالم اقتصاديا ملخصها: هل يمكن الخروج من ثنائية جشع الدولة أو جشع الفرد؟ أليس هنالك حل وسط بين أن تملك الدولة كل شيء ليتحول الفرد إلى أجير كسول عندها لا يملك شيئا، وبين نظام آخر يعطي الحق للفرد ليملك ما يشاء مما قد يهدد المجتمع ويجعله رهينة لبعض أفراده فاحشي الثراء، مهد الخطيب للحل الإسلامي لثنائية الرأسمالية الاشتراكية بعرض منطلقات هذا الحل وأسسه.

أما المنطلقات فهي ثلاثة أولها: أن الإسلام يعتبر المال خيرا ونعمة، والعنصر الثاني: أن المجتمع الإسلامي مجتمع واقعي،أي ليس مجتمعا خياليا مثاليا،أما العنصر الثالث فهو أن الإسلام لا يقول بالقضاء على الفقر والغنى، فهما موجودان وسيظلان موجودين، ولكنه يقول بتقريب الهوة بينهما: «إن الإسلام لا يقول بالقضاء على الفقر والغنى، فهما موجودان وسيظلان موجودين؛ ولكنه يقول بتقريب الهوة بينهما، وبالقضاء على المهانة والاستغلال

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 117.

وعلى التحايل لتحقيق المكاسب، ومن ثم فإنه ليس إلى جانب الفقراء ضد الأغنياء كما قد يتوهم الذين يتحدثون عن قارون،وأن الله أهلكه، ويظنون أنه أهلكه بسبب ثروته. والحقيقة أنه إنما أهلكه الله، لأنه بغى وطغى وتجبر»[1]، أما الأسس التي نظم بها الإسلام مجال الاقتصاد فقد حصرها الخطيب في ثلاثة:

أولها: «هناك الملكية الفردية، الإسلام يبيح هذه الملكية،ويسمح بها لأنها تساير طبيعة الإنسان وغريزته...ثاني هذه الأسس: أن الإسلام يجعل للعمل قيمة أساسية في كسب الثروة، باعتبار أن لا إنتاج بدون عمل سيحاسب عليه،...أما ثالث أسس منظور الإسلام فهو: إعطاء الحقوق لأصحابها، وإنصاف العاملين»[2]، لكنه يوضح أن هذه الملكية الفردية ليست دون ضوابط،إذ لابدأن تكون: «من أصل مشروع أي من أصل شريف، وأن تكون كذلك نامية بطرق مشروعة، الطرق المشروعة هي العمل والكسب والجد سواء بالجسم أو بالفكر»[3].

2 ـ الموازنة بين الحاجات المادية والروحية في الإسلام:

هذه من القضايا التي أسالت مدادا كثيرا في الفكر الإسلامي، لهذا أطال الخطيب الحديث عنها في خطب عديدة، مقدما مقاربة تقوم على الأسس التالية:

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 118.

[2]ـ نفسه، ص: 119ـ120.

[3]ـ نفسه، ص: 119.

أولها: اعتبار الإسلام المال خيرا ورزقا ونعمة، وفي هذا دعوة للاستثمار وتنميته وهو بهذا يصحح فهما خاطئا يعتبر المال فتنة، ولو كان من كسب طيب، وأنفق في وجوه الخير.

ثانيا: دعوة الإسلام للاستمتاع بالطيبات، وفي هذا تشجيع على الاستهلاك والعمل من أجل الحصول على المال الذي به ينفق على هذا الاستمتاع، لهذا نسب الله الزينة والطيبات من الرزق لنفسه فقال زينة الله، يوضح الخطيب هذه الفكرة قائلا: «(قل **مَن حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّه**)[1]، صيغة الاستفهام التي تسمى في اللغة العربية: الاستفهام الإنكاري، كأنك تقول لأحد الأشخاص – شْكُون لِّي قَالْكْ أَسِيدي تْعْمل هذه القضية – الجواب بالنفي، قل من حرم هذه القضية؟ الجواب بالنفي. إذن، الله تعالى ينكر هذه القضية وينفيها»[2].

ثالثا: اعتبار الإسلام الإنسان خليفة على الأرض من أجل تعميرها وتنميتها، الخطيب هنا يصحح مفهوما اضطربت أفهام الناس حوله، وهو كيفية الموازنة بين دعوة الناس للعبادة التي من أجلها خلق الإنسان، وبين العمل للدنيا وتنميتها، هذه العلاقة بين الجانبين المادي والمعنوي في الإسلام، أي بين العمل للدنيا وبين العبادة، لخصها الخطيب قائلا: «خير ما يمكن أن نلخص فيه هذه العلاقة بين الدين والدنيا، وكيف يكون المؤمن مؤمنا يصلي ويزكي ويصوم، وهو في الوقت نفسه هو جاد في عمله، يكسب الأموال وينفقها في سبيل الله؟ كيف إذن؟

---

[1] ـ الأعراف، الآية: 32.

[2] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 84ـ85 .

تذكرون ذلكم الحديث الذي تحفظونه جميعا، والذي يقول فيه رسول اللهﷺ : "اعمل لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً، واعمل لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا"، هكذا ينبغي أن تكون علاقة المسلم بدينه وبدنياه، وما أحسن قول القائل: [البسيط]

مَا أَحسْنَ الدِّينَ والدُّنْيَا إذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبحَ الكُفْرَ والإِفْلاسَ بالرَّجُلِ»[1].

3 ــ تنظيم العلاقات المالية:

اهتم الخطيب عباس الجراري في خطبه كثيرا بإبراز نظرة الإسلام للجوانب الاقتصادية والمالية، فتحدث عن نظرة الإسلام للدنيا، وعن الرشوة والغش التجاري والمالي، وعن التكافل، وعن الموازنة بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، ومواضيع أخرى حول هذا الجانب.

من أجل تنظيم العلاقات المالية داخل المجتمع المسلم، «حث الإسلام على إيصال المال لكل أفراد المجتمع، وعدم احتكاره داخل فئة قليلة، هنا يحضر مفهوم التكافل باعتباره أداة لتوزيع فائض الثروة عند الأغنياء على الفقراء»[2].

ومن أوجه التكافل حث الإسلام على الصدقات، وقد خصص الخطيب لهذا الموضوع خطبا، منها خطبة حول زكاة الفطر، مبينا أن الإسلام حث غالب أفراد المجتمع على إخراجها تدريبا لهم على التكافل والعطاء،وأنها واجبة على كل مسلم كما هو معروف[3].

---

[1]ـ نفسه، ص: 87 ــ 88.

[2]ـ خطب منبرية،ج3، ص: 65ــ66.

[3]ـ نفسه، ص: 38ـ 39.

من جهة أخرى، حرص الإسلام على محاربة كل ما يمكن أن يخل بهذا النظام الذي يسمح بتوازن العلاقات المالية داخل المجتمع، فحارب الإسلام الإسراف والتبذير لكونهما مدعاة لإضاعة الأغنياء المال، وعدم تفكيرهم في فقراء مجتمعهم ومحتاجيه،فبين الخطيب عيوب الإسراف وأضراره الاجتماعية والنفسية، كذلك اهتم بحرب الإسلام على الرشوة والخش التجاري، وهما موضوعان أفرد الخطيب لكل واحد منهما خطبة، مما يدل على اهتمامه الكبير بهذا الموضوع[1].

4 ــ الجانب السياسي في الإسلام:

الإسلام دين ودولة، يهدف إلى بناء الفرد والدولة، يقول الدكتور: « والإسلام قبل هذا وبعده، منهج يتمثل في مجموعة من الأسس والقواعد التي تبنى عليها الدولة الإسلامية في مختلف المجالات، السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، والتي بها يتكون نظام هذه الدولة»[2].

يوضح الخطيب عباس الجراري ــ وهو يتحدث عن مفهوم الدولة في الإسلام ــ أن الإسلام دين شامل ينظم علاقة العبد بربه من جهة، ومن جهة أخرى يسعى لقيام دولة الإسلام، ذلك لأن قيامها شرط لازدهار الدين وتنظيم الحياة الإسلامية، يقول: «فإن الإسلام ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ ليس كما يظن الكثيرون، مجرد دعوة دينية تنظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، وتضع الإطار الخلقي لهذه العلاقة؛ لكن الإسلام بالإضافة إلى ذلك تشريع، وتشريع عام ومتكامل، بدءا من إقامة الدولة، أي من تأسيس الدولة الإسلامية، لأنه بقيام

---

[1]ـ نفسه، ص: 235.(بتصرف).

[2]ـ الدولة الإسلامية بين النظامين الديني والمدني، عباس الجراري، مكتبة دار السلام، ط، 2014، ص: 15.

الدولة يزدهر الدين؛ بل إن المجتمع الإسلامي؛ بل إن الفرد المسلم لا يمكن أن يحقق دينه إلا في إطار مجتمع منظم»[1].

وقد بين الخطيب أن الرسول صلى الله علية وسلم هو واضع أسس النظام الدستوري المؤسس لهذه الدولة، وذلك من خلال نموذج دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة، لكن واضع هذه الأسس حرص على ترك باب الاجتهاد مفتوحا، حتى لا تجمد الدولة على شكل معين، إنه اجتهاد سياسي يواكب ما استجد من أفكار في كل عصر، لكن في إطار حدود دولة المدينة، يقول الخطيب: «فالرسولﷺ أسس أول دولة إسلامية، وذلكم حين هاجر إلى المدينة المنورة، حيث اجتمعت له كل المقومات الدستورية لتأسيس الدولة، ما هي هذه المقومات؟ جماعة متعايشة ومتساكنة ومتآخية، ثم أرض تعيش عليها هذه الجماعة، ثم نظام يضبط شؤون هذه الجماعة، ثم تتمتع هذه الجماعة بحريتها وبسيادتها، وفي النهاية أصبح لهذه الجماعة كيان، أو شخصية معنوية كما يقال»[2].

ويزيد الخطيب الأمر توضيحا حينما يشير إلى أن الإسلام منفتح على كل شكل سياسي تراه الأمة أصلح لتدبير شؤونها، لكن بشرط واحد هو أن يتأطر هذا الشكل السياسي بقواعد ضابطة،أهمها الحكم بما انزل الله[3].

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص:271.

[2]ـ نفسه، ص: 271.

[3]ـ نفسه، ص: 273.

5 ــ كرامة الإنسان من منظور إسلامي:

استنكر الخطيب على بعض مفكري الغرب وكتابه قولهم إن الإسلام لم يعرف مفهوما يسمى حقوق الإنسان، في هذا الاطار وضح الخطيب أن الإسلام له تأصيل عميق لقضية حقوق الإنسان، مقارنا بين ما ورد في الإعلان العالمي لهذه القضية، الصادر عن هيئة الأمم المتحدة سنة 1948، وبينما ورد في التشريع الإسلامي من حقوق سبق الإسلام بها هذا الإعلان قرونا عديدة،ويختار نموذجا للمقارنة المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان،مع ما سبق في الإسلام تشريعه، مبينا حرص الإسلام على تمكين الإنسان من حقوقه الإنسانية:الدينية والسياسية،يبدأ الخطيب تحليل هذا الموضوع قائلا:«إن الإسلام يتضمن في جوهره مبادئ جميع الحقوق التي تجعل الإنسان يعيش حياة العزة والكرامة، لأنه دين تكريم ورحمة وهداية»[1].

كما ضمن الإسلام للناس حرية التفكير وحرية التعبير وحرية الانتقاد، وهو ما يطلق عليه الآن"المعارضة"، وكان العصر النبوي وكذلك عصر الخلافة الراشدة، خير نموذج تحققت فيه حرية التعبير عن الرأي السياسي؛يقول الخطيب:«هذا هو الإسلام، هذه هي الحرية، حرية التفكير وحرية التعبير، هي التي تجلت عند المسلمين في أمرين اثنين: تجلت أولا في الشورى، أي المشاركة في تسيير الدولة، الحاكم يستشير والناس يشيرون عليه، ثم تجلت في موقف آخر، موقف التقويم والتوجيه، وهو ما يسمى اليوم بالمعارضة. "في مَجْلِس عُمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين، قَامَ أَحدُ المُسلِمِينَ وقالَ لَهُ: اتَّقِ الله يَا أَمير المُؤْمِنين، فَقَامَ بعضُ مَنْ كَانَ فِي المَجلسِ وأَرادَ أنْ

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 86.

يُهَاجِمَ الرَّجل، فقال له عُمر: دعه فإنه لا خَيْرَ فِيكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوهَا، ولا خَيْرَ فينَا إذا لَمْ نَقْبَلْهَا»[1].

6 ـ الديمقراطية والحكم الراشد:

يحرص الخطيب عباس الجراري في تحليله لمفاهيم السياسة والحكم في الإسلام على استعمال المصطلحات التي عرفتها الحضارة الإسلامية، مثل مصطلح (التكريم الإلهي)، الذي يقابل مصطلح حقوق الإنسان في هذا العصر، ومصطلح (البيعة والشورى) وغيرهما، وفي أثناء حديثه عن المبادئ التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة المسلمة، تحدث عن مبدأ الشورى الذي يقابل مصطلح الديمقراطية في عصرنا الحديث، ومصطلح الشورى الذي ذكر في القرآن أكثر من مرة، بل وسميت به سورة من سوره كما يقول الخطيب، وضعه الإسلام لضمان حكم رشيد، كما وضع له آليات منها: مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يضمن حق النقض والمعارضة داخل نطاق واسع من حرية التعبير وحرية التفكير، وأبرز آلية سياسية لإنشاء حكم راشد، هو ما اصطلح عليه في الحضارة الإسلامية بالبيعة، هذه "البيعة" عرفها الخطيب قائلا: «العهد الذي يربط الخليفة بالرعية والذي يسمى البيعة، يتفق فيه الطرفان على أن كلا منهما يقوم بواجباته والتزاماته، الإمام يصون الدين، ويحفظ مصالح المسلمين، ويسعى إلى سلامتهم وإلى سعادتهم،والرعية تدين له بالطاعة والولاء»[2].

---

[1] ـ نفسه، ج1، ص: 138.

[2] ـ خطب منبرية، ج2، ص: 132.

7 ــ العلاقات الدولية، والتسامح مع غير المسلمين:

يحرص الخطيب عباس الجراري على رد اتهامات الغرب وافتراءاته التي تزعم أن المسلمين هم سبب المشاكل بين دول العالم، وأنهم المسؤولون عن الحروب التي تهدد السلام العالمي، موضحا أن سبب هذا الاتهام هو بحث الغرب عن خصم بعد نهاية الاتحاد السوفياتي،فالإسلام دين سلام يدعو للسلام، ويحذر من الحروب التي هي من خطوات الشيطان، يقول:«نريد أن نبين أن الإسلام ليس دين الحرب، وإنما هو دين السلام، ودين السلام في الأساس، وأن هاته الآراء التي يروجها خصوم الإسلام، إنما مثارها أن هؤلاء يبحثون عن خصم ــ ولا سيما في أوربا وفي الولايات المتحدة، وخاصة بعد أن تمت المصالحة بين العالم الغربي والاتحاد السوفياتي ــ يبحثون عن خصم، وعن خصم يفجرون فيه مكرهم، ويفجرون فيه خبثهم، ويروجون فيه أسلحتهم.

إن الإسلام دين السلم أولا، ثم هو دين الجهاد كذلك»[1]، لكن دعوة الإسلام إلى السلم لا تعني الاستكانة أو الاستسلام للمحتل أو المعتدي، لهذا شرع الجهاد، هذه الكلمة التي تزعج الغرب،شرعت كذلك للدفاع عن أماكن العبادة عندهم، فما شرع الجهاد إلا للدفاع عن كلمة الحق أينما كانت،[2] إن القوة تحمي الحق وتمنع انتشار الظلم والحروب بين دول العالم، لهذا دعا الإسلام إلى التعبئة والاستعداد العسكري لحماية الحق ورفع الظلم.

---

[1] ـ نفسه، ج1، ص:125.

[2] ـ نفسه، ص: 126.

المبحث الثاني: مواضيع تاريخية:

توطئة:

يستمد الخطيب مواضيعه التاريخية من مرجعين: الأول السيرة النبوية؛ المرجع الأساس للفترة النبوية، والثاني: التاريخ القديم والحديث للدولة المغربية، هذه الأحداث التاريخية معين لا ينضب للخطيب، إذ تعد أساسا مرجعيا عند مقاربته لقضايا واقعه، ذلك لكونها تجمع بين ما هو عاطفي من خلال السرود السيرية المبتدئة بولادة الرسولﷺ، مرورا ببعثته وهجرته وتأسيسه للدولة ثم وفاته، هذه الذكريات الجليلة تربط المتلقي بعصر يعد مرجعا عند كل المسلمين، ثم إن النماذج البشرية التي عاشت تلك الفترة تستدعي التحليل والدراسة، فيها مثال للمؤمن والكافر والمنافق، مثال كذلك للمواطن الخدوم لوطنه ودينه وأمته،ويبقى الهدف الأكبر الاقتداء بالرسولﷺ وصحابته، في الأقوال والأفعال، لأن ارتباط المؤمن عاطفيا بذلك العصر يكسبه معرفة، يؤمل الخطيب ــ باعتباره القناة الموصلة لهذه المعرفة ــ أن يتمثلها المتلقي سلوكا حسنا في حياته.

واستدعاء التاريخ الإسلامي ــ خصوصا السيرة النبوية ــ في خطب الجراري، يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف، أولها: هدف تعليمي يمد فيه الخطيب المتلقي بمعلومات تاريخية عن تاريخ الإسلام عامة، وفترة بداية الإسلام بمكة، ونشوء الدولة المسلمة في المدينة خاصة، وهذا الهدف التثقيفي يخدم الهدف الثاني.

وهو هدف تربوي: لأن المعرفة تولد المحبة،والمحبة ينشئ عنها الاقتداء وتهذيب السلوك البشري، فسرد التاريخ داخل المتون الخطابية، يأمل

الخطيب أن يثمر عملا عند المتلقي، يصحح ضعفه الإيماني، وقلقه النفسي، وجفافه الروحي.

ثم هناك هدف واقعي، لأن من طبع الإنسان المقارنة بين يومه وأمسه، بين حاضره وماضيه، بين واقعه وتاريخه، هذا الواقع المتشعب بمشكلاته المحلية والقومية والعالمية لا يعدم أن يجد حلولا لإشكالاته الحضارية في نموذج مكة: مرحلة الاستضعاف،والمدينة: مرحلة الدولة، وهذا يلاحظ كثيرا في خطب عباس الجراري، والسبب هو كون الخطيب ينظر للرسولﷺ نظرة شاملة، فهو ليس نبيا فقط، بل هو كذلك القائد العسكري ورئيس الدولة ومؤسسها، وواضع دستورها ونظامها السياسي والاقتصادي،ولأن الذكريات الإسلامية المرتبطة بأحداث السيرة النبوية ترتب في كتب السيرة حسب مراحل حياة النبيﷺ، يمكن إعادة ترتيب ورودها في خطب عباس الجراري على الشكل التالي:

المطلب الأول: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي:

1 ــ السيرة النبوية : أحداث وعبر:

للمغاربة علاقة خاصة بذكرى المولد،إذ هناك شبه إجماع على أن انطلاق الاحتفال بالمولد كان في المغرب،وذلك في فترة الدولة العزفية بسبتة في القرن السابع الهجري،كان هذا المولد ــ الذي أصبح ذكرى سنوية ثابتة كلما حل الثاني عشر من ربيع الثاني ــ أكبر حدث في تاريخ البشرية، وبداية تغيير جذري في مسار الحضارة الإنسانية، لهذا استغل الخطيب هذه المناسبة لبيان أسباب هذا الاحتفال وأهميته، ومناقشة مشروعية الاحتفال،

2 ــ ذكرى المولد ومشروعية الاحتفال بها:

يحصر الخطيب الأسباب التي تدعو المسلم للاحتفال بمولد النبيﷺ في ثلاثة : أولها كونهﷺ قدوة للأمة، ثانيا لكوننا نحبه، والسبب الثالث، لأن هداية الأمة كانت على يديه، يقول:«لماذا نحتفل بعيد المولد؟ إنه لمن الصعب أن نقول لماذا نحتفل به؟ ولكننا نحتفل به لهذه المعاني السامية التي أشير إلى بعضها للتذكير، التذكير على الصعيد العام، أي على مستوى الأمة؛ ونحتفل به لنقتدي برسول الله ص، ونتبعه؛ ثم نحتفل بالمولد الكريم لأننا نحب رسول اللهﷺ، نحبه لفضائله ومحامده وأخلاقه وسجاياه، ونحبه لهداية المسلمين على يديه، ونحبه لجهاده في سبيل الله وما تحمل من أجل ذلك، ونحبه لأنه شهيد علينا ونحن شهداء على الناس، ونحبه لأنه رسول اللهﷺ ومبلغ دعوته وخاتم رسالاته»[1]، ولأن محبة النبيﷺ تظل من أعظم أسباب الاحتفال، فقد جعل الخطيب ما تبقى من خطبته بيان اللأدلة التي تربط بين محبة الله ومحبة رسوله، وأن محبة الرسولﷺ شرط في إيمان المسلم، ومع أن الخطبة موجهة لوجدان المتلقي لإثارة عاطفة المحبة لديه،إلا أن هذا لم يمنع الخطيب من إثارة قضايا عقدية، منها قضية الغلو في محبة النبيﷺ، فيصحح الخطيب عباس الجراري هذا الأمر قائلا:« وليس الأمر كذلك، لأن المقصود هو أن يكون ما يفعله لرضا الله ورسوله مقدما، أي لا يتحرك ولا يصدر عن شيء إلا في نطاق ما يرضي الله والرسول»[2].

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 78.

[2]ـ خطب منبرية، ج3، ص:79.

يحكي الخطيب في خطبة حول قضية مشروعية الاحتفال بالمولد السبب الذي جعله يخصص خطبة لنقاش هذه القضية، السبب، مجيء بعض الحضور للشكوى من سماعهم كلاما مضطربا حول الموضوع، فكانت الخطبة نقاشا هادئا لحججهم ومقولاتهم، يقول: «ماذا يقول الذين ينكرون هذا الاحتفال؟ إنهم يقدمون حججا ثلاثة:

ـ الحجة الأولى: أن هذا الاحتفال ليس من الدين ولكنه بدعة فيه؛

ـ الحجة الثانية: أنه تقليد للنصارى؛

ـ الحجة الثالثة: أنه تحدث فيه بعض المنكرات»[1]، ويسترسل الخطيب في الرد على هذه الحجج الثلاثة، موضحا أولا مفهوم البدعة، ثم مبينا أقسامها، مستدلا على كل قسم بأمثلة لأفعال فعلها الصحابة، رغم عدم فعل الرسول صلى الله عليه وسلم لها، مثل جمع المصحف، والجمع على صلاة التراويح، بل إن ما قامت عليه الحضارة الإسلامية من علوم مستحدثة مثل علم الحديث والنحو والبلاغة كلها بدع، لكنها بدع مستحسنة بل واجبة في أحايين كثيرة، مثل جمع المصحف في عهد الصحابة،لكن ردود الخطيب على قوم يخالفونه تماما في الزعم ببدعية الاحتفال بالمولد لا يمنعه من قبول حججهم إن صدقها الواقع، وهذا ما ينطبق على حجتهم الثالثة: «وتبقى الحجة الثالثة ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ وهي أنه يقع في المولد بعض المنكرات، كالرياء، والإسراف، والمبالغة في مدح الرسولﷺ، إلى حد الغلو في تعظيمه والتوسل به والاستغاثة به إلى حد قد يصل إلى الشرك، هنا ينبغي أن نكون حذرين، وأن نكون محتاطين. إننا بإحياء ذكرى المولد النبوي نحتفل

---

[1] ـ نفسه. ص: 70 ـ 71.

للتذكير بمواقف الرسولﷺ، ونفعل ذلك في الحدود التي يرضى عنها الله ويرضى عنها رسوله»[1].

3 ـ قضية البيعة النبوية، الذكرى والعبرة:

البيعة حدث بارز في السيرة النبوية،لأنها حدث مفصلي، مهدت لانتقال الدعوة الإسلامية من الضعف إلى القوة، كما كانت مقدمة للهجرة وبناء الدولة، بل هي أساس الإمامة التي قام عليها نظام الخلافة في الإسلام،وحديث الخطيب عن هذه القضية لم يكن بغرض سرد الأحداث فقط، بل الهدف الأسمى هو أخذ العبرة من الأحداث واستثمارها للاستفادة منها في واقع المسلمين المعاصر، وبما أن البيعة لم تكن في السيرة النبوية بيعة واحدة، بل كانت سلسلة من الحلقات التي تتابعت، سيجعل الخطيب يخصص لكل حلقة منها حديثا منفردا،من ذلك،البيعة الأولى؛أي بيعة النساء،وهي بيعة بايع فيها الصحابة رجال ونساء الرسولﷺ على بنود ذكرها القرآن الكريم في سورة الممتحنة، متحدثا فيها عن النساء المبايعات، لذلك سميت بيعة النساء، وكذلك لأن القرآن الكريم لم يذكر من بنودها القتال، لأن النساء ليس عليهن جهاد.

4 ـ بيعة العقبة:

يدرك عباس الجراري أن المتلقين لخطابه ليسوا على درجة واحدة من العلم، ولأن منهم من يعسر عليه الفهم، نجده يحرص حرصا يتكرر في معظم خطبه على توضيح ما يمكن أن يعسر على فهم المتلقي، من مسميات

---

[1] ـ نفسه، ص: 74 ـ 75.

وتقسيمات للأحداث ومراحلها، لهذا وضح هنا أن البيعة المسماة بالعقبة هي في الحقيقة بيعتان، كلاهما تسمى بيعة العقبة، محددا المرجع الذي اعتمد عليه[1].

5 ـ بيعة الشجرة:

ولأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، يستمر عباس الجراري في توضيح ما يمكن أن يبهم على بعض متلقيه، فبعد أن وضح مراحل البيعة، وأن العقبة بيعتان، انتقل لتوضيح فرق هام، فإذا كانت البيعتان السابقتان: "العقبة الأولى" و"الثانية" وقعتا والدعوة في أشد مراحل الفترة المكية حرجا وضعفا، فإن "بيعة الشجرة" أو "الرضوان"، كانت والمسلمون في مناعة وقوة بعد سنوات ست من تأسيس الدولة، لينتقل بعد هذا البيان لتوضيح مسألة مستعينا بالاشتقاق اللغوي، حينما وضع تعريفا للبيعة قائلا: «وكانت العادة أن الذي يبايعه يضع يده في يد رسول اللهﷺ، وهذا هو الأصل في اسم البيعة، البيعة مأخوذة من البيع الذي يكون بين البائع والمشتري، حينما يتفقان على صفقة، كذلك كانت البيعة مع رسول اللهﷺ»[2].

6 ـ الغزوات : وقائع وعبر:

قضية الجهاد في الإسلام، والانتقال من مرحلة الاستضعاف في مكة إلى مرحلة الدفاع عن الدعوة والدولة في المدينة، شغلت الخطيب عباس الجراري كثيرا، وهو في سرده للأحداث والوقائع لا يمر عليها مرورا عابرا، بل هو سرد فيه تدبر وتأمل في أسباب الغزوات ووقائعها ونتائجها، وكيف يمكن لحاضر العالم الإسلامي أن يستفيد من الدروس المستخلصة من هذه الغزوات.

---

[1] ـ خطب منبرية، ج2، ص: 133ـ (بتصرف)

[2] ـ خطب منبرية، ج2، ص: 134.

أ ــ غزوة بدر:

هذه الغزوة هي فاتحة الغزوات الكبرى، وإن كانت سبقت بسرايا وغزوات لم يقع في جلها قتال، وإذا كان اسمها مرتبطا بمكان جنوب غرب المدينة النبوية يسمى بدرا، فإنها مرتبطة في أذهان المسلمين بيوم وقوعها،يوم السابع عشر من رمضان،وقد تناول عباس الجراري في خطبته هذه الغزوة من خلال ثلاث قضايا أساسية:

القضية الأولى: مكانة شهر رمضان التاريخية:هذه المكانة المستمدة من عظم الأحداث الكبرى التي وقعت فيه، مثل نزول القرآن في ليلة القدر،وكونه شهر الصوم وزكاة الفطر، وكونه شهر انتصارات عديدة، مثل النصر في بدر وفتح مكة.

القضية الثانية: أسباب هزيمة المشركين رغم كثرتهم:وقد أرجعها الخطيب إلى سببين أساسيين، عدم التخطيط الحربي رغم الإنفاق الباذخ على الجيش، والتنافس فيه بين المشركين،والسبب الثاني هو الزهو والعجب[1].

القضية الثالثة: نصر الله للمؤمنين في بدر؛ هذا النصر الذي لم يكن متوقعا إذا نظر إليه بمنظار عسكري بحت، جيش صغير وسلاح قليل لكون الصحابة لم يخرجوا بقصد القتال أصلا،وإنما لاعتراض تجارة قريش القادمة من الشام[2].

وكان ختام هذه الخطبة تأملات حول الأخلاق الحربية الخاصة التي تعامل بها الرسولﷺ مع أسرى المشركين، الذين يعتبرون مجرمي حرب،

---

[1] ـ نفسه، ج1، ص: 261ــ (بتصرف).

[2] ـ نفسه، ص: 263.

نظرا لما فعلوا له ولأصحابه من أذى وتعذيب في الفترة المكية، وطردهم له وللصحابة من مساكنهم وبلدهم مكة، يقول: «ثم تنتهي المعركة؛ معركة بدر الكبرى، تنتهي ويقع الأسرى في أيدي المسلمين، فيفدون أنفسهم بالمال كل حسب طاقته، والذين لم يكن لهم مال أو لم يكونوا من الأثرياء الذين يستطيعون أن يفدوا أنفسهم، فإن رسول اللهﷺ طلب منهم أن يفدوا أنفسهم بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة»[1].

ب ــ غزوة أحد:

غزوة أحد أكثر غزوة تحدث عنها القرآن الكريم، نظرا لنتائجها الخطيرة على الدولة المسلمة، لكن الخطيب في حديثه عنها لم يتحدث عن أسباب نشوبها ولا عن أسباب هزيمة المسلمين فيها، ولكنه ركز على قضية واحدة هي قضية الشورى، وذلك وفاء منه للقضية التي كانت محور خطبته، والتي ألقيت بمناسبة افتتاح الدورة التشريعية وانعقاد مجلس دول اتحاد المغرب العربي، هذه الغزوة الكبرى، استدل الخطيب بها على أن الرسولﷺ كان يسمح للصحابة بالتصريح بآرائهم عند مشاورته لهم، حتى ولو خالفت آراؤهم رأيه، إن الرسولﷺ استشار الصحابة حول مسألة الخروج: «يوم أحد في السنة الثانية، وبعض المسلمين لم يكن من رأيهم أن يخرجوا للحرب، والرسولﷺ لم يكن يريد الخروج، ولكن أغلبية المسلمين كانوا يريدون أن يخرجوا في أحد ــ أي الناس كانوا بَاغِينْ يْخُرْجُ لِلْجِهَادْ ــ الذين لم يخرجوا في بدر أرادوا أن

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 264.

يخرجوا في أحد، اضطر الرسولﷺ للنزول عند رغبة الأغلبية، وخرج المسلمون، وكانت الهزيمة، وأصيب الرسولﷺ»[1].

7 ــ إنسانية محمد وعفوه بعد المقدرة:

نال المشركون من أهل مكة عفوا عاما يوم الفتح،رغم الأذى الذي ألحقوه بمحمدﷺ في أرض مكة نفسها، كان لهذا العفو أثر بالغ في نفسية المستفيدين منه، جعلهم يدخلون في الإسلام أفواجا، لم ينس الجراري الإشارة إلى أمر لافت في هذه القصة،وهو حرص الرسولﷺ على امتصاص الحقد من قلوب أعدائه رغم انتصاره عليهم، وهو ما فعله مع أبي سفيان رأس الشرك في مكة يومها، حين أعلى شانه بين قومه، لما قيل للرسول إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا، فقال الرسولﷺ نعم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[2].

المطلب الثاني: التاريخ الوطني:

يحرص الخطيب عباس الجراري في الخطب التي تصادف الذكريات الوطنية على ترسيخ ثقة المغربي بنفسه، من خلال مده بمعلومات تاريخية تجعله يفخر بانتمائه الوطني، كما تدعوه إلى الاعتزاز بقدراته على صنع الحاضر كما صنع التاريخ، حينما آمن بقيمة كبرى طوال تاريخه وهي قيمة الحرية، يقول طالبا من المغاربة الفخر بهذا التاريخ:«فإننا حين نقرأ التاريخ، نجد أن الإنسان منذ كان وهو يقاوم ويناضل من أجل الحرية، تاريخ الشعوب هو تاريخ الصراع من أجل الحرية، وللمغاربة في ذلك صفحات ناصعة في هذا

---

[1]ـ نفسه، ص: 278.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 266.

التاريخ»[1]، ويسترسل في نفس السياق، معددا النعم التي توالت عليهم عبر تاريخهم، والتي بها بنوا الوطن، وساهموا بها في بناء الحضارة الإنسانية.

1 ـ قضايا ملحمة الاستقلال:

إن اشتغال الخطيب عباس الجراري على قضايا التاريخ الوطني بارز من خلال نوعية القضايا التي حرص على إبرازها في خطبه،والإشكالات التاريخية التي حاول مقاربتها،مبينا أنماط المقاومة التي جابه بها المغاربة الاحتلال المسمى حماية،[2] فهو أراد من خلال عرضه أحداث تاريخ بداية الحماية الفرنسية للمغرب أن يغرس في عقل المتلقي وقلبه فكرة مفادها أن المغاربة لم ينخدعوا باسم "الحماية" عوض "الاستعمار"، ولم يقبلوا السيادة المغربية ما دامت تحت مراقبة المستعمر وسلطته، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، نوعوا المقاومة، تارة مقاومة عسكرية، وأخرى ثقافية تعليمية فكرية تبعا للظروف.

لتأتي بعد ذلك قضية تماسك الجبهة الداخلية المغربية في مقاومتها للاستعمار المسمى "حماية"، هذه القضية استأثرت باهتمام الخطيب، وهو يرجع ذلك التماسك إلى عاملين اثنين: حرص المقاومين على وحدة الصف بنبذ كل خلاف يحتمل نشوبه بين المقاومين، والعامل الثاني:وعي المقاومين بضرورة مجابهة عدوين؛ عدو ظاهر وهو المستعمر بسلاحه وعتاده الحربي، وعدو خفي وهو الجهل والتخلف بسلاح التعليم والتثقيف،هذا الحدث التاريخي يعقبه الخطيب بحدث آخر يتمثل في محاولة المستعمر ضرب وحدة المقاومين، وصنع فرق بين عربيهم وأمازيغيهم، عبر سن قانون استعماري سمي حينئذ بالظهير

---

[1] ـ نفسه، ص: 142.

[2] ـ نفسه، ص: 143.

البربري، لكن المغاربة لم يبتلعوا الطعم، يقول: «ولهذا حين واجه المغرب أزمة كبيرة كادت أن تعصف بوحدته وأن تمزقه – سنة ثلاثين – وهي أحداث الظهير البربري، فإن المغاربة وقفوا صفا واحدا متمسكين بعقيدتهم وبوطنيهم وبوحدتهم»[1]، ولا يمكن إغفال الوظيفة الهامة التي قام بها النادي الجراري، والذي تزامن تأسيسه مع صدور الظهير البربري، وذلك من أجل بث الوعي في نفوس المنظمين إليه أولا، وفي أبناء الوطن عموما، من أجل النهوض الثقافي، والثورة ضد المستعمر المغتصب، هذا النادي «الذي ارتبط في مرحلة تأسيسه بحدثين هامين في تاريخ المغرب الحديث، حدث الظهير البربري 1930، الذي كان يهدف إلى خلق الفتنة العقدية وتمزيق الوحدة الوطنية، وإثارة النزعات العرقية، فكان صاحب المنتدى من الثائرين والمنتفضين الأوائل، المنظرين لمقاومته، كلفه دخول السجن.

هذا الحدث نبه إلى أن العمل الوطني يجب أن يخطط له ويدرس، بعيدا عن أعين الاستعمار، المنبثة في كل مكان، لذلك شكل عندي هذا العنصر أبرز العوامل في التعجيل بتأسيس النادي الجراري، الذي كان شبه خلية تتدارس القضايا الوطنية»[2].

ومقاومة المغاربة "للظهير البربري"قضية تبرز تنوع أشكال المقاومة المغربية، حيث نوع المغاربة طرق مقاومتهم، حتى إذا فشل خيار بسبب اعتقال المقاومين أو استشهادهم، لم تقف المقاومة لفشل ذلك الخيار.

---

[1]ـ خطب منبرية، ج 1، ص: 143.

[2]ـ مقال: "النادي الجراري بين التأسيس والامتداد، مجلس الدكتور عباس الجراري نموذجا"، مصطفى الجوهري، ضمن مقالات كتاب: زهرة الآس في فضائل العباس: الجزء الأول، مطبعة دار المناهل، ص: 181 - 182.

وسواء ألجأ المغاربة لهذا الخيار أملذاك، لابد أولا من قوة الإيمان بفكرة الانعتاق من الاستعمار وحكم الأجنبي، لتأتي بعد ذلك استراتيجيات المقاومة.

من أمثلة هذه الاستراتيجيات التي لجأ إليها المقاومون المغاربة، استراتيجية اضطروا إليها نظرا لأن السلاح لم يكن متوفرا لكل طبقات الشعب، وكذلك لحرص سلطة الاستعمار على إنزال أقسى العقوبات وأقصاها على منضبط عنده سلاح، هذه الوسيلة السلمية تمثلت في الاحتجاجات الشعبية والمظاهرات التي نظمها المغاربة[1] من أجل استقلال وطنهم، وكان أول سبيل لجأ إليه المغاربة قبل ذلك، مثل كل شعوب الأرض المستعمرة، هو الخيار العسكري،الذي أبان استعداد المغاربة للذود عن حياض وطنهم، كان هذا ردا تلقائيا من المقاومين المغاربة.

نوع آخر كان خيارا استراتيجيا عند المقاومين المغاربة، وهو ما أطلق عليه الخطيب الجهاد الفكري والسياسي، من خلال العمل الذي اطلعت به الحركة الوطنية، يعبر عن هذين النوعين من الجهاد قائلا: «معركة الاستقلال ــ أيها الأخوة ــ بدأت منذ عهد الحماية على المغرب في السنة الثانية عشرة، لتنتهي هذه المعركة التي كانت مستمرة. بدأت أولا بالمقاومة المسلحة في البوادي والجبال وفي كل مكان، بعد هذه المقاومة دخل المغرب إلى مجال العمل الوطني متجليا في الحركة الوطنية»[2].

ولأن خطبة الجمعة ليست محاضرة أكاديمية فكرية يمكن أن تلم بكل أحداث حقبة الاستعمار، يفرض على الخطيب انتقاء لحظات بارزة واقتناص

---

[1]ـ خطب منبرية، ج 1، ص: 145.

[2]ـ نفسه، ج3، ص: 244.

فترات ملهمة تمكن المتلقين من تكوين صورة عن تلك الحقبة المتحدث عنها، وهذا ما يمكن استنتاجه حينما نجمع الخطب المنشورة لعباس الجراري التي تناول فيها مقاومة المغاربة للاستعمار، نجده يحرص على أمرين اثنين، في كل خطبة تناولت هذه التيمة، الأمر الأول: تقديم ملخص شامل للمرحلة كلها، حتى يدمج المتلقي ويدرك عن أي حدث يتحدث، والأمر الثاني: تعميق البحث والتأمل في قضية معينة من قضايا تلك المرحلة،يرى الخطيب أنها جديرة بالتأمل والنقاش.

ومن استراتيجية المقاومين المغاربة كذلك،والتي حرص عباس الجراري على إبرازها، حرصهم على المطالبة بشيئين: الأول ضرورة إرجاع الملك محمد الخامس إلى بلاده وعرشه، باعتباره رمزا للوحدة الوطنية وللحرية والاستقلال، إذ يدل على أن المغرب لم يكن أرضا خالية من حكم وسلطان منذ قرون عدة،كما يشير إلى أن سبب إرجاع الاحتلال الفرنسي للملك محمد الخامس من منفاه، سببه الضغط الشعبي وإجماعه على ضرورة إرجاع الملك إلى عرشه[1].

المطلب الثاني: إطلاق المعتقلين من المقاومين

وهذا راجع إلى أن اعتماد سلطات الاحتلال على سلاح الاعتقال داخل السجون أو النفي داخل المغرب أو خارجه،أحدثت هذه السياسة فراغا داخل الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة والفكرية كذلك، نظرا لاعتقال الاستعمار رموز الحركة الوطنية من العلماء والشعراء والمفكرين، فكان هذا المطلب بوجوب: «أن يطلق سراح جميع المعتقلين الذين أوذوا، وكان فيهم عدد كثير من الذين

[1]ـ خطب منبرية، ج3، ص: 245.

حكمت عليهم المحاكم العسكرية بالإعدام وبالسجن المؤبد»[1]، ولأن خطبة الجمعة خطاب ديني شرعي بالأساس، يستنتج عباس الجراري من أحداث فترة الاستعمار حكما وعبرا، منها مثلا: سنة التدرج في الدعوة،أثناء مجابهة العدو الصائل المحتل، وقد ناقش هذه القضية في خطبة حول "ذكرى عيد الاستقلال"[2].

وخاتمة المواضيع التي اهتمت بقضية "ملحمة الاستقلال"،سيكون موضوع مطالبة المغاربة بالاستقلال، إذ خصص له خطبا مستقلة، كانت تلقى بمناسبة الذكريات السنوية للحادي عشر من يناير، الذي يصادف اليوم الذي قدم فيه الوطنيون المغاربة عريضة للمستعمر الفرنسي سنة 1944 يطالبونه فيها بضرورة تمكين الشعب المغربي من تقرير مصيره،إضافة إلى الإشارات الواردة في خطب ذكرى عيد الاستقلال، هذه الوثيقة التي تحدث عنها الخطيب بتفصيل وإطالة سرد.

والرجوع لتفاصيل أحداث الذكرى، هدفه تذكير المتلقين بتضحيات الآباء، ثم للتأمل والتوعية وأخذ العبر والدروس من أحداث تلك المرحلة، يقول في خطبة بالمناسبة: «أيها الإخوة المؤمنون، حينما تتأملون هذه الأحداث، سواء للذين عاشوها أو الذين لم يعيشوها من أبنائنا، ولكنهم يقرؤون عنها في الكتب وفي مقررات التاريخ، وعلينا أن نوعيهم بها نحن الذين عشنا تلكم المرحلة، نوعيهم بماذا؟ نوعيهم عبر طرح هذا السؤال: لماذا انتصر المغاربة؟»[3]،يبدأ السرد

---

[1]ـ نفسه، ج1، ص: 241.

[2]ـ نفسه، ج2، ص: 244.

[3]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 242.

للأحداث بذكر الظروف والعوامل التاريخية التي أملت تقديم الوثيقة،لينتقل إلى مرحلة كتابتها وتقديمها للجهات الثلاث، أسلوب يغلب عليه السرد دون تعليق أو وصف، سرد مسهب في أربع صفحات تقريبا، وإطالة السرد حينما يحتاجه مقام الخطبة من مميزات أسلوب عباس الجراري، نراها في أغلب خطبه التاريخية والوطنية، ولعل الداعي إلى هذا هو عامل الزمن، إذ نراه يشير في خطب كثيرة إلى أن المتلقين لخطبه نوعان:النوع الأول: متلقون حضروا الأحداث وعاشوها، ونوع آخر من الجيل الذي ولد بعد الاستقلال، وهذا النوع يحتاج إلى معرفة ما وقع زمن الاستعمار،ولهذا يقول في خطبة بمناسبة الحادي عشر من يناير:«ما أحوجنا ــ أيها الإخوة ــ ما أحوجنا إلى أن نلقن هذه الدروس، وهذه الأخبار، وتاريخ هذه الأحداث إلى الأجيال التي لم تعش وقائع المطالبة بالاستقلال، هذه الأجيال التي فتحت بصرها على نعمة الاستقلال، ولم تدر ماذا قدم الآباء والأجداد في سبيل تحقيق هذا الاستقلال، بل نحن أيضا ــ نحن جميعا ــ مطالبون بأن نراجع هذه الصفحات، وبأن نـتأملها لكي نعيد إلى أنفسنا ذلكم الحماس وتلكم الجذوة، جذوة التضحية، وجذوة التفاني في خدمة الوطن»[1].

2 ــ مخاض فجر الاستقلال :

استأثر موضوع الاستقلال وما سبقه من أحداث مهدت له بنصيب وافر في الخطب المنبرية الوطنية لعباس الجراري، ذلك لأنه حد فاصل بين مرحلتين، احتلال واستقلال، ثم لأنه تتويج لكل ما سبق من مواضيع المقاومة والحماية،ويلاحظ هنا حضور واضح لشخصية ولموضوع: شخصية الملك الراحل

[1]ـ خطب منبرية، ج 1، ص: 147.

محمد الخامس رحمه الله، باعتباره قائد النضال من أجل الاستقلال،وأما الموضوع فيفرضه الطابع الديني للخطابة المنبرية،إذ دائما ما يمهد الخطيب لموضوع الاستقلال وأحداثه، بحديث عن وجوب نصر الله للمؤمنين،وضرورة الصبر على الشدائد والمحن، ليكون النصر من نتائج ذلك الصبر وتلك المحن[1].

تتعدد خطب الاستقلال والمطالبة به في الأجزاء الثلاثة المكونة لديوان خطب عباس الجراري،والسبب تكرار المناسبة كل سنة، وقد حظي موضوع عودة محمد الخامس من منفاه بنصيب وافر، باعتباره مبحثا أساسيا في خطب هذه المناسبة،فالعودة لم تكن عودة ملك منفي عن بلده وعرشه فقط، بل كانت عودة للنصر وللحرية والاستقلال، يسترجع عباس الجراري هذه الأحداث بأسلوب تشخيصي ليكون مثل مشهد يعرضه أمام أسماع متلقيه قائلا:«وكانت هذه العودة في مثل هذا اليوم من سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف، يوم سادس عشر نونبر سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف.

هل عاد الملك كما ذهب؟ أم عاد بالنصر والظفر؟

نعم، في مثل هذا اليوم، وفي مثل هذه الساعة التي نحن فيها،وبمجرد وصول الملك المجاهد إلى عاصمته، ألقى خطبة قصيرة،ولكنها على قصرها مليئة بالدلالات والمعاني، بشر فيها الأمة بانتهاء عهد الحجر والحماية، وبزوغ فجر الاستقلال والحرية»[2].

يمتاز السرد في خطب هذه المناسبة باهتمام الخطيب بتدقيق تواريخ الأحداث وأمكنتها، فنراه يذكر التاريخ بدقة:"زوال يوم الأربعاء 16 نونبر

---

[1]ـ نفسه، ج2، ص:239.

[2]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 255.

1955 وصل السلطان المظفر إلى مدينة الرباط"، كما يحرص الخطيب على ذكر المرجع، إذ ينقل وصفا لمدينة الرباط لحظة استقبالها السلطان محمد الخامس قائلا: «وصل السلطان المظفر إلى مدينة الرباط، التي يذكر الذين عاشوا هذا التاريخ، أنها كانت تغص بالجماهير المتراصة، كأنها كتلة واحدة اللون»[1].

3 ـ قضية الصحراء المغربية:

تحظى قضية الوحدة الترابية للمغرب بحظ وافر في مغرب ما بعد الاستقلال، إذ تعتبر قضيته الوطنية المقدسة الأولى، هذا الاهتمام يلاحظ كذلك في خطب عباس الجراري، إذ تعتبر هذه القضية عنصرا أساسا في قسم الخطابة المنبرية الوطنية، وقضية الوحدة الترابية للمغرب ليست وليدة العصر الحديث، إذ يراها الخطيب قضية طبعت تاريخ المغرب منذ قرون، وذلك راجع لعوامل جغرافية وحضارية جعلت من المغرب ناشر حضارة الإسلام في قارتين، هما أوروبا وإفريقيا، هذا الدور التاريخي جعل المغرب عرضة للمؤامرات التي تسعى لتقزيم دوره عبر محاولة احتلال أراضيه، يقول الخطيب: «حين نقرأ تاريخ المغرب، نجد أنه منذ كان وهو يواجه التحديات، ويرد الخصوم، ويقف في وجه اعتداءاتهم ومناوراتهم، لماذا لأنه عز عليهم :

أن يعتنق أبناؤه الإسلام؛

وأن ينشروا الإسلام في أروبا؛

وأن يقيموا دولة الإسلام فيها منذ ثمانية قرون»[2].

---

[1] ـ نفسه، ج1، ص: 240.

[2] ـ خطب منبرية، ج3، ص: 103.

وفي نفس الإطار، نرى الخطيب يربط بين انتصار المغاربة حديثا في قضية استرجاع الصحراء، وبين حدث آخر بارز في التاريخ، وهو انتصار المغاربة في معركة "وادي المخازن"،وهذا ما يوجب علينا قراءة التاريخ، لأن قراءته كما ــ يقول الخطيب ــ تجعلنا نربط الحاضر بالماضي، ليخلص في الأخير إلى استخلاص عبر ودروس من سرد أحداث معركة وادي المخازن والتأمل فيها، من هذه الدروس أن: «هذا الانتصار صان للمغرب سيادته حريته، وفرض هيمنته على الدول القريبة والبعيدة، وكان السبب في هذا الانتصار إجماع الأمة واعتماد روح الجهاد، مما أتاح للمغرب أن ينطلق نحو الجنوب في عمق القارة الإفريقية من خلال صحرائه»[1].

وإذا كان حدث الاستقلال سنة 1955 أهم حدث فاصل بين مرحلتين في تاريخ المغرب الحديث: الاحتلال والاستقلال، فإن حدث المسيرة الخضراء يعتبر أهم حدث ميز تاريخ المغرب المستقل، وحسب الخطيب، فالأمر راجع إلى كونها ــ كما يقول ــ تعتبر إبداعا وابتكارا لامثيل له[2]، يتجلى الإبداع المغربي في المسيرة الخضراء من خلال أمرين: الأول:أنها دليل على لجوء المغاربة للسلم في أوقات لا يفكر القادة عادة في اللجوء إليه،إذ استرجاع وطن لجزء من ترابه حق بل واجب وطني لا يلام عليه ــ وإن لجأ إلى القوة ـــ لكن المغرب فضل اللجوء قبل المسيرة إلى الدبلوماسية،الأمر الثاني:أن المسيرة الخضراء دليل على قوة الدولة وتماسك المجتمع، إذ ليس من السهل تنظيم حدث ضخم بهذا المستوى تشارك فيه كل فئات المجتمع،ويسترجع الخطيب

---

[1]ـ نفسه، ص: 117.

[2]ـ نفسه، ج3، ص:180.

تلك الأحداث قائلا: «العنصر الثاني، الذي تتجلى فيه أهمية المسيرة الخضراء، هو تشكيلها وتكوينها، وتذكرون وتعرفون أنها تشكلت من خمسين ألف وثلاثمائة من المشاركين، من الرجال والنساء والشباب والشيوخ، ومن مختلف المهن والحرف، ومختلف هيئات المجتمع، كلهم خرجوا باختيار متطوعين يريدون أن يلتحقوا بصحرائهم»[1].

وقضية الصحراء ــ في خطب عباس الجراري ــ غالبا ما ترد في سياق حديثه عن دفاع الله عن المؤمنين، وعن حتمية النصر للمسلمين الصالحين، فيلتقي في خطبة الجمعة الواحدة موضوعان، لأن خطبة الجمعة مكونة من خطبتين بينهما جلسة استراحة، يناقش موضوعا في كل خطبة من الخطبتين، لكنهما موضوعان يكمل أحدهما الآخر، ومثاله خطبة عنوانها "بين الإيمان والنصر"، بين فيها وجوب تحقق شرط الإيمان لتحقق الوعد الإلهي بالنصر، وفي الخطبة الثانية تتمة لنفس الموضوع، فكان عنوان الجزء الثاني من الخطبة: "مواجهة المغرب للتحديات، للتوعية بما ينبغي أننكون عليه لمواجهة الحملة ضد وحدتنا الترابية"، إنه من جهة موضوع خاص وهم محلي، ولكنه من جهة أخرى تتمة لموضوع الخطبتين؛ الأول: يبين فيه سبب عرقلة الخصوم لمسار تسوية هذه القضية، ثم عرج على قضية الاستفتاء وأنه محسوم لصالح المغرب لو تم إجراؤه، ليخلص في الأخير إلى أن المغرب في دفاعه عن حرمات البلاد وصده لمخططات تقسيم بلاد الإسلام، يحقق شرط النصر، وهو الإيمان بعدالة القضية إيمانا ثابتا، مثل ثبات العقيدة، لهذا يختم خطبته بهذا الدعاء:

---

[1] ـ نفسه، ج1، ص: 180 ـ 181.

«اللهم إننا نعرف أن نصرك قريب فثبت في القلوب عقيدتنا، واجعل لنا في ذلك عزتنا وكرامتنا، وأيدنا بنصر منك عزيز مكين»[1].

4 ـ الجيش المغربي:

يحمل عباس الجراري في خطبه الوطنية خاصة، هم بث الوعي في الجيل القادم، الذي لم يعش أحداث الاستعمار، ولم يذق ويلات الاحتلال وذل العيش تحت حماية الأجنبي، ويتخذ من الفخر بالمنجزات الوطنية والتنموية، مطية لبث هذا الوعي وتحقيقه، في هذا الاطار كان حديثه عن الجيش المغربي تاريخا وحاضرا، باعتباره قوة عريقة حققت منجزات تاريخية من جهة، ولكونه مؤسسة حديثة من منجزات عهد الاستقلال، الذي يحق لهذا الجيل الفخر بها من جهة ثانية،أما المناسبة، فهي الاحتفال بذكرى مرور أربع وثلاثين سنة على تأسيس الجيش المغربي، فكيف كانت معالجة الخطيب لهذه القضية؟

عادة الخطيب عباس الجراري ألا يقتحم الموضوع اقتحاما دون تمهيد له، بتصحيح مفاهيمه، وبيان سياقه العام الذي ينضوي تحته، لهذا كانت قضية موقف الإسلام من القوة مدخلا لموضوع الجيش المغربي، فما مفهوم القوة في الإسلام؟ يؤكد الخطيب أن القوة في الإسلام لا تعني قوة السلاح والجيش فقط، بل القوة أنواع، يعددها الخطيب قائلا:«المؤمن القوي، القوي بماذا؟ القوي بنفسه، وبعزيمته، وبإرادته، القوي بماله وبثروته، القوي بعلمه ومعارفه، ثم القوي بعقيدته وعتاده»[2]،لكن هذه العقيدة وهذا العلم وتلك المعرفة

---

[1]ـ خطب منبرية، ج3، ص: 105.

[2]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 229.

تحتاج لقوة لتحميها، لهذا كان لزاما حماية الحق والإيمان بالقوة العسكرية المادية، وهذا ما وجه إليه الإسلام حينما دعا المؤمنين لإعداد القوة العسكرية، ليس بغرض العدوان وإشعال الفتن والحروب، ولكن لتخويف الخصوم[1]، فالرجوع لتاريخ بداية الإسلام في مكة وأحداث السيرة النبوية، توضح أن خطر افتقار الحق لقوة تحميه كان سبب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم لتأسيس دولة تحمي الدعوة الإسلامية من أخطار كادت أن تفتك بها، وهو أمر تنبه لهﷺ فهيأ الرجال، وأعد العدد وبحث عن تقنيات حربية جديدة متطورة.

وعادة ما تكون الذكريات الوطنية فرصة للمصلحين والدعاة، للتذكير بدروس التاريخ، من أجل أخذ العبرة واستلهام أحداث الماضي خدمة للحاضر واستعدادا للمستقبل، وهو أمر لم يغب عن الخطيب عباس الجراري، وهو يحيي هذه الذكرى، لهذا نراه يسترجع تاريخ الجيش ويحلل حاضره ويدعو له أن يبقى جيشا قويا منيعا،وفي استحضار الخطيب ذكرى تأسيس الجيش يقول: «وتأسس هذا الجيش الذي نعتز به ونفتخر، وهو الذي نسميه: "القوات المسلحة الملكية"، هذه القوات تأسست منذ أربع وثلاثين سنة، أسسها قائدها يومئذ مولانا الحسن الثاني، الذي كان وليا للعهد، بإشراف والده المغفور له مولانا الملك المجاهد محمد الخامس رحمه الله؛ تأسست هذه القوات، وعززت بقوات الأمن، وبقوات الدرك الملكي»[2].

---

[1]ـ نفسه، ص: 230.

[2]ـ نفسه، ص: 231.

يحافظ الخطيب عباس الجراري في هذه الخطبة على منهجه المعروف في خطبه، الذي يعتمد على استرجاع تاريخ القضية أثناء تحليلها ومعالجة قضايا موضوعها،وكانت خطة الخطبة كالتالي:

ــ حديث عن مفهوم القوة في الإسلام؛

ــ بيان ضرورة الاستعداد الحربي؛

ــ يعقبه استدلال على وجوب الاستعداد باسترجاع أحداث السيرة النبوية، وما أعده الرسولﷺ من أسلحة متطورة حينها؛

ــ ليصل بعد هذا الحديث العام للقضية المحلية التي هي صلب الخطبة، قضية الجيش المغربي،فيذكر أولا ببعض بطولاته التاريخية،ويتضح هذا الربط والتسلسل في عرض الأحداث واستنتاج العبر والأفكار في هذه الفقرة من خطبته، يقول:«المغرب معروف– وكان معروفا في التاريخ – بشجاعة أبنائه وبطولاته التي سجلها التاريخ، بل إن المغاربة في عهد القهر وفي عهد الحماية والاستعمار، برهنوا عن شجاعتهم وعن قوتهم وعن استماتتهم، والتاريخ قد سجل لهم في عهد الحماية، إضافة إلى مقاومة الاستعمار، مواقفهم في الحرب العالمية الأولى وفي الحرب العالمية الثانية، وسجل مواقفهم في الحرب الهندية الصينية»[1].

5 ــ ذكرى عيد العرش:

يربط الخطيب ربطا مباشرا بين حديثه عن ذكرى عيد العرش ذات البعد القومي الوطني بمسألة شرعية دينية، هي قضية البيعة، مسترجعا أحداث السيرة النبوية ــ خصوصا في فترتها المكية ــ التي شهدت بيعتين

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 230.

اثنتين،البيعة الأولى بيعة النساء،والبيعة الثانية مرت بمرحلتين: بيعة العقبة الأولى، والثانية بيعة الرضوان،وتسمى كذلك بيعة الشجرة؛ كذلك ربط بين ذكرى تولي الملك الحسن الثاني رحمه الله مقاليد الحكم، وبين ذكرى بيعة الصحابة للرسولﷺ، يدل هذا حسب الخطيب على أن أحكام الشريعة،أي نظام البيعة، صالح للتطبيق في كل زمان ومكان،إذ لا يمكن اعتباره حدثا تاريخيا مر في السيرة النبوية دون إمكانية تطبيقه في عصرنا الحالي.

ويشير الخطيب في بداية خطبته حول نظام الحكم في الإسلام، إلى أن الإسلام دين ودولة، إذ حفظ الدين يستدعي قيام دولة تحميه، هذه الدولة شرطها أن تقوم على منهج الإسلام،وقد حدد لهذا المنهج ثلاثة مبادئ، اعتبرها أسسا منهجية لنظام الدولة في الإسلام،من هذه المبادئ:أن الدولة الإسلامية قائمة على التوحيد، وكون الإنسان خليفة لله على أرضه،وثاني هذه المبادئ: العدل والمساواة، دون عنصرية ولا تمييز بين سكان هذه الدولة،والمبدأ الثالث: هو الشورى[1]، هذه المبادئ تؤطرها علاقة بين الحاكم والمحكوم تسمى "البيعة"؛ البيعة بهذه المعاني هي عهد وميثاق، يربط الحاكم بالمحكوم، كما يمكن اعتبارها اعترافا من الشعب بمشروعية حكم الحاكم، خصوصا لحظة تنصيب الحاكم الجديد، أو عند نشوب نزاع بين حاكمين، كل يدعي مشروعية حكمه، وهذا المعنى تشهد له أحداث التاريخ الإسلامي، وقد ختم الخطيب خطبته بالإشارة إلى أن نظام البيعة عرف تطورات عبر تاريخ الإسلام، من أبرزها توثيق أخذ البيعة للحاكم كتابة، بعدما كانت شفهية في العهد النبوي:«وتطور مفهوم البيعة مع التجربة السياسية للمسلمين، وأصبحت

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 132.

البيعة تقدم أحيانا بالكتابة، ونذكر هنا أن أبا بكر الصديق هو أول من كتب العهد،كان ذلك في مرض موته، إذ أراد أن يستخلف عمر بن الخطاب فكتب له البيعة.

كذلك من التطورات التي عرفتها البيعة هي أن يترك الخليفة العهد لولي عهده، ومن فعل ذلك أول مرة؟ هو معاوية بن أبي سفيان حين أخذ العهد لولده يزيد»[1].

"عيد العرش" مناسبة وطنية في المغرب ذات حمولات دينية، أبرزها "البيعة"، ولعيد العرش جذور عميقة في التاريخ بدأت منذ بداية الدولة الإسلامية في المغرب، واستمرت طيلة تاريخ المغرب، وفي مختلف دوله التي قامت فيه إلى يومنا هذا، ويبرز الخطيب عباس الجراري عراقة نظام البيعة في المغرب وبعض خصائص هذا النظام في تاريخه قائلا: «منذ تأسست الدولة في المغرب ــ أي منذ المولى إدريس الأول في سنة اثنتين وسبعين ومائة للهجرة، وبالضبط قبل تاريخنا الحالي باثني عشر قرنا ــ وهي تسير على نظام البيعة، البيعة التي كان الملوك يأخذونها من الأمة.

والبيعة في المغرب كانت تكتب، وكانت توضع عليها إمضاءات الموقعين من العلماء والأشراف والأعيان وممثلي الأمة، وأحيانا كانت توثق بالإشهاد العدلي لتكون ثابتة موثقة، ثم يعلن بها للجماهير، حتى تعرف أميرها الجديد، وحتى تدعوا له بالنصر والتمكين»[2]،البيعة بهذا المعنى، اعتراف من الشعب بمشروعية حكم الحاكم،والتزام من الحاكم بما يجب عليه اتجاه هذا

---

[1]ـ نفسه، ص: 135.

[2]ـ نفسه، ص: 138.

الشعب، لتأتي مناسبة ذكرى عيد العرش لتذكر المغاربة بالقيم التي قامت عليها الشخصية المغربية عبر تاريخها الطويل، يقول عباس الجراري: «ثم إن عيد العرش يلخص كل المميزات والخصوصيات، والقيم التي يتشبث بها المغاربة؛ القيم الدينية والإنسانية والقيم الوطنية، أي قيم ومقومات الهوية، في تفتح على القيم المعاصرة، من غير أن ندوس ذاتنا، ومن غير أن ندوس كياننا، ومن غير أن ندوس شخصيتنا المغربية الإسلامية»[1].

[1]ـ خطب منبرية، ج 2، ص: 140.

المبحث الثالث: مواضيع واقعية:

توطئة:

يشغل الواقع بهمومه وأحداثه الكبرى العالمية والمحلية حيزا هاما من مواضيع خطب عباس الجراري المنبرية،فالخطيب- من خلال تتبع عناوين خطبه-إما معلق على حدث شغل الناس ذلك الأسبوع،وإما مصحح لمفهوم إسلامي،مخافة أن يشوه واقع المسلمين مفهومه ومعناه، وتارة أخرى منافح عن دينه ضد الشبهات التي يثيرها بعض الكتاب الغربيين،واختيار الخطيب لمواضيع ولإشكالات واقعية يراها جديرة بالنقاش والمعالجة، وإغفاله مواضيع أخرى،عادة ما يكثر الخطباء الكلام حولها، هذا الاختيار راجع لأسباب منها:

أولاــ خطورة الحدث وكونه مصيريا للأمة أو الوطن، مثل قضية الأقصى أو الصحراء المغربية.

ثانياــ كون الموضوع مفهوما من المفاهيم الكبرى، التي يجب أن يصحح معناها في أذهان الناس، مثل مكانة المرأة في المجتمع، أو مفهوم الحرية، التي كثيرا ما يساء فهم معناها وحدودها.

ثالثاــ خطورة التشويه الذي يطال مفاهيم إسلامية كبرى من كتاب غربين أو شرقيين، تخصصوا في الكلام حول هذه القضايا الإسلامية، مثل قضية الإسلام ونظرته للسلام والحرب، وقضية الحجاب، وموضوع الرق، وغيرها من المواضيع الشائكة.

ومما يلفت الانتباه،أن الخطيب يخصص خطبا كثيرة للإجابة على قضية أو إشكالية سأله شخص عنها عقب نهاية صلاة جمعة سابقة، فيشير في خطبته إلى هذا الأمر، ومهما يكن سبب اختيار موضوع خطبته، فإن هذا

الاختيار يدل على نوعية القضايا التي كانت تشغل فكر الخطيب، والتي كان يراها مفاتيح لإصلاح واقع أمته الإسلامية أو مجتمعه المحلي.

المطلب الأول: واقعية الإسلام، وواقع المسلمين:

الخطيب في بداية خطبته هذه، يشير إلى سبب اختياره الحديث عن هذا الموضوع، ومن خلال ذكر السبب، نراه يطرق باب الإشكالية بهدوء، رغم كون القضية عادة ما تثير نقاشا حادا بين العلماء والمفكرين، يقول الخطيب: «فبعد صلاة يوم الجمعة الماضي، جاءني شاب غيور يتقد غيرة وحماسا، وقال: إنه تلميذ في السنة السابعة، أي في قسم الباكالوريا، وطرح مجموعة من القضايا تتعلق بواقع المسلمين، قال: إن المسلمين اليوم يعيشون في واقع يغلي بالتناقضات والصراعات والنزاعات»[1].

إن النقاش حول موضوع مثالية قيم الإسلام، وصعوبة تطبيقها في واقع الناس، الذي تطغى عليه الصراعات والتناقضات، هو نقاش قديم بدأ منذ لاحظ الناس ابتعاد الخلق عن خالقهم حكاما ومحكومين، خصوصا بعد نهاية حكم الخلفاء الراشدين، وازداد النقاش حدة في هذا العصر، مع اختيار جل الدول الإسلامية قوانين وضعية عوض أحكام الشريعة الإسلامية، رغم ذلك يوضح الخطيب للسائل ولغيره،أن فساد الواقع لا يجعل القوانين الصافية السامية مثالية لا يمكن تطبيقها، يوضح هذا الأمر قائلا: «نحن متفقون مع الشاب في طرحه للواقع؛ ولكننا لسنا متفقين معه في الاستخلاص الذي انتهى

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 57.

إليه، ذلكم أن الإسلام دين يقوم على قيم ومبادئ مثالية، إلا أن هذه القيم والمبادئ قابلة لكي تطبق في الواقع»[1].

1ـ أسس الواقعية الإسلامية ومظاهرها:

يوضح الخطيب من خلال بيانه أسس الواقعية الإسلامية ومظاهرها،أن الإسلام دين واقعي؛ يبدأ هذا التوضيح بتمهيد، عبارة عن تحليل لنظرة الإسلام للواقع وللوجود، من خلال دعوته للتأمل والنظر في الكون لفهم أسرار هذا الواقع، كأنه يشير إلى أن أصل الإشكالية هو عدم فهم معنى الوجود، وكنه الواقع وحكمته، يقول:«يكفي أن نتدبر، وأن نتأمل، وأن نلاحظ لنفهم السر الكامن خلفه وخلف تدبيره، ورحم الله الشاعر أبا العتاهية إذ يقول : [المتقارب]

وللّهِ في كُـــلِّ تَحْرِيكَـــــةٍ وتَسْـكِينَةٍ في الـورى شَاهـــِدُ
وَفِـي كُـــلِّ شَـيءٍ لـه آيَـــةٌ تَـــدُلُ عَلَـى أنَّـه واحـــدُ»[2].

من هذه الأسس كذلك مسألة الحلال والحرام، التي تظهر كون الإسلام دينا واقعيا، إذ الواقعية هنا تتمثل في عدم تشديد الإسلام على الناس، إذ لم يحرم عليهم إلا ما يضرهم،ومن الأسس الواقعية كذلك، تيسير الإسلام على الناس، من خلال الرخص التي أعطاهم أثناء أداء العبادة، إن هم شعروا بحرج أو كانوا ذوي ظروف خاصة، مثل التيمم للمريض وقصر الصلاة في السفر[3].

---

[1]ـ نفسه، ص: 57.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 59ـ60.

[3]ـ نفسه، ص: 65 ــ بتصرف.

2 ـ واقع المسلمين المعاصر:

المؤشرات التي تدل على ما يعانيه واقع المسلمين من تمزق وتخلف عديدة، وقد عد الخطيب غياب وحدة إسلامية، توحد دول الإسلام من أكبر الدلائل على ضعف واقع المسلمين، وتخلفه عن ركب الحضارة المعاصرة،فمخالفة المسلمين لأوامر الإسلام الداعية للوحدة والجماعة، أكبر سبب جعل واقع المسلمين واقعا أليما[1]، ثم أمر آخر لا يقل خطورة عن سابقه، يمكن صياغته على شكل سؤال: هل المسلمون هم سبب الحروب والفتن التي يعاني منها العالم الآن؟ هذا السؤال يجد راهنيته في كون أغلب الحروب المعاصرة تشهدها بلدان إسلامية، هذا جعل بعض المفكرين الغربيين يحكمون بأن المسلمين هم سبب حروب العالم وفتنه، يقول عباس الجراري: «إنه موضوع الحرب والسلم، ويحثني على تناوله بصفة مباشرة، أني دعيت في الأسبوع الماضي للمساهمة في ندوة علمية دولية عقدت بمدينة نيس الفرنسية، وكان موضوعها: الديانات والحرب، وكان الرأي الغالب –أيها الإخوة المؤمنون– ولاسيما عند اليهود والنصارى، كان الرأي الغالب: أن المسلمين هم الذين يثيرون هذه المشاكل التي يعانيها العالم اليوم، وأن الحرب التي تهدد العالم إنما المسؤول عنها هم المسلمون»[2]، هذا الاتهام، سيجعل الخطيب يخصص الخطبة كاملة لبيان خطأ هذا الرأي.

---

[1] ـ نفسه، ص: 47.

[2] ـ خطب منبرية، ج2، ص: 124.

3 ــ أزمات الواقع الإسلامي وأسباب تأخره:

أزمات العالم الإسلامي كثيرة ومتشعبة، وقد حرص الخطيب على تتبع هذه الأزمات ووضع وصفات علاج لها، من أخطر هذه الأزمات:

أ ــ التخلف عن ركب الحضارة المعاصرة:

هذه من أهم الأزمات، ذلك لأن التخلف هو النتيجة النهائية لظواهر سلبية عديدة عانى منها الواقع الإسلامي،وكذلك لأن زوال هذا التخلف، هو أكبر مؤشر على تعافي الأمة وبداية رقيها؛ يقول الخطيب موضحا أسباب هذا التخلف، وتاريخ الأمة معه نزولا وصعودا: «وقد تحقق الازدهار الحضاري والثقافي والتفوق السياسي والفكري والاقتصادي للمسلمين يوم كانوا متآلفين؛ ولكن ما كاد يصيبهم التمزق والتشتت حتى تعرضوا للتدهور والتخلف، ووجدوا أنفسهم في مؤخرة القافلة، يستبد بهم من هم في مقدمتها، وأن الأمة العربية والإسلامية تجتاز اليوم مرحلة دقيقة من تاريخها، بها ستحدد مصيرها»[1].

ب ــ ضعف الأمة واحتلال مقدساتها:

يعتبر الخطيب احتلال اليهود لفلسطين وللمسجد الأقصى خصوصا، مؤشرا على ضعف هذه الأمة،لهذا يقول في خطبة حول الإسراء والمعراج، راجيا أن ينتبه المسلمون إلى خطورة احتلال المسجد الأقصى: «فما أجدر المسلمين اليوم بعد أن دنست أرض المسجد الأقصى أن يعوا هذه الذكرى، ذكرى الإسراء والمعراج، ويعتبروا أسرارها ومعانيها، ويدركوا ما عليهم أن يقوموا به للحفاظ على المقومات والمقدسات»[2].

---

[1]ـ نفسه،ج1، ص: 49.

[2]ـ نفسه، ج2،ص: 86.

4 ــ أسس تقدم العالم الإسلامي:

تتكون الوصفة التي يقترحها الخطيب لعلاج أعطاب العالم الإسلامي من أمور، هذه أبرزها:

أ ــ دفاع الأمة عن مقدساتها وحرماتها:

شرع الإسلام القتال، لكن ليس بغرض العدوان، ولكن لردع المعتدين وإرجاع المقدسات، يقول الخطيب: «إذن –أيها الإخوة المؤمنون– الإسلام دين الجهاد، ويدعو إليه، ويسمح بالحرب والقتال، للدفاع عن الحق، وللدفاع عن الكيان، ولرد العدوان، ولرد الظلم، وليس بالاعتداء على أحد، وليس بفرض كلمة الإسلام بالقوة»[1].

ب ــ وحدة الصف الإسلامي ونبذ الفرقة:

يذهب الخطيب إلى أن جوهر الدين لا يظل له معنى، حينما تغيب الوحدة وتتشتت الأمة، لذلك ربط بين الدعوة للاتحاد وبين التقدم الحضاري للأمة الإسلامية، يقول: «فإن العرب والمسلمين اليوم يعانون التمزق والتشتت، منغلقين على أنفسهم داخل دويلات وطنية تفتك في بعضها الطائفية الدينية، والنزْعات القومية، والنعرات الإقليمية التي تجد في الفكر الذي يروج له الانفصاليون ما يغذيها ويدعمها، بما يصل إلى إشعال نار الفتن والحروب. وهو واقع لا ينتج عنه إلا استنزاف الطاقات وتحويلها عن هدفها الحقيقي وتوجيهها نحو الفناء والدمار. وقد آن الأوان لمراجعة هذا الوضع الأليم، وعرض فكرة الوحدة ليس في صيغتها المطلقة التعجيزية التي لا تسمح الظروف القائمة

---

[1] ـ خطب منبرية، عباس الجراري، ج1، ص: 129.

بتنفيذها، ولكن في صيغ ملائمة طبقت بالفعل على مستوى إقليمي في اعتماد على تقوية أواصر التعاون، ولاسيما في المجال الاقتصادي والتجاري والثقافي»[1].

المطلب الثاني: شبهات من الواقع الإسلامي والرد عليها:

1 ــ حق الاختلاف في الإسلام:

من الأمور التي شغلت فكر الخطيب الجراري، تتبع الشبهات المثارة حول الإسلام في الماضي وفي هذا العصر، في ظل حضارة غربية تدعي قيامها على حق الاختلاف والدفاع عنه، واتهام الإسلام بعدم احترام هذا الحق،وسيتخذ الخطيب من حادثة المذبحة التي قتل فيها مصلون داخل المسجد الأقصى، منطلقا لإبراز تناقض بعض مفكري الغرب وكتابه، حينما كتب بعضهم متشفيا من ضحايا الحادثة، ومتهما الإسلام بأنه لم يعرف في تاريخه شيئا اسمه حقوق الإنسان، يقول: «وإن من آخر هذه الأحداث، تلكم المذبحة الشنيعة التي عاشتها القدس الشريفة في هذا الأسبوع، والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين كانوا يصلون في المسجد الأقصى أو كانوا في حرمه، ومن العجيب أن بعض الدول المتقدمة الراقية مازالت تتلكأ في إدانة هذه الأحداث، بل إن بعض المعلقين الأجانب ذهب — وهو يتشفى — إلى أن المسلمين الذين ثاروا ضد ما وقع، لم يعرفوا في تاريخهم شيئا اسمه: حقوق الإنسان»[2]، ولأن التهمة ثقيلة، ستستمر الخطبة في رد هذه التهمة، وبيان سبق الإسلام في موضوع حقوق الإنسان.

---

[1] ـ نفسه، ص: 47.

[2] ـ خطب منبرية، ج2، ص: 80.

2 ــ لا إكراه في الدين:

مسألة إكراه الناس على الدخول في دين الإسلام،من الشبه الكبار التي تثيرها بعض الأصوات،والتي تزعم أن الإسلام بتشريعه حد الردة،قدأكره أتباعه على اعتناق هذا الدين، كما يتخذون من الفتوحات الإسلامية ــ التي يدعون أنها اتخذت السيف وسيلة لنشر الإسلام ــ منطلقا لرميه بهذه التهمة، يرد الخطيب ــ بعد عرضه الأدلة التي تدحض هذه التهمة ــ قائلا:«ثم إن الإسلام يدعو إلى الإيمان الذي يقوم على التفكير والتدبير، وإمعان النظر والاقتناع، ليس في الإسلام إيمان متكلف، ولكن الإيمان الحق يكون بالاقتناع»[1].

إن منطلق الإسلام في هذا الأمر، هو أن العقيدة شعور داخلي، لا بد أن تتم عن إرادة حرة وإقناع، وهذا أساس الحرية الدينية في الإسلام.

3 ــ نظرة الإسلام إلى الحرب والسلم:

الخطب التي خصصها الجراري لبيان موقف الإسلام من موضوع الحرب والسلم عديدة، والسبب خطورة التهمة التي تزعم كون المسلمين هم الذين يشعلون الحروب التي يعاني منها هذا العالم،لذلك تجده يبدأ حديثه بذكر سبب تكراره الحديث عن هذا الموضوع، وهو مشاركته في ندوة دولية حول نفس الموضوع،وملاحظته أن الرأي الغالب بين المشاركين ـــ من اليهود والنصارى خصوصاـــ هو أن المسلمين هم الذين يثيرون هذه المشاكل التي يعانيها العالم اليوم:«نريد أن نبين أن الإسلام ليس دين الحرب، وإنما هو دين السلام، ودين السلام في الأساس، وأن هاته الآراء التي يروجها خصوم الإسلام، إنما

---

[1]ـ نفسه، ص: 166.

مثارها أن هؤلاء يبحثون عن خصم ــ ولا سيما في أوربا وفي الولايات المتحدة، وخاصة بعد وأن تمت المصالحة بين العالم الغربي والاتحاد السوفياتي ــ يبحثون عن خصم يفجرون فيه خبثهم، ويروجون فيه أسلحتهم»[1].

4 ــ الحرية: نظرة إسلامية:

موضوع الحرية في الإسلام، من المواضيع التي أفرد لها الخطيب أكثر من خطبة، وخطته في تناوله للموضوع هي: أن يعرف به، ثم يذكر بعناية الإسلام بهذا الموضوع، بعدها يعدد مظاهر الحرية في الإسلام، ليختم موضوعه ببيان حدود هذه الحرية وذكر ضوابطها.

فالإسلام له نظرته الخاصة المنضبة للحرية، خلافا لما يروج من مفاهيم قد تكون مغلوطة عنها، مثلما عبر عنها الدكتور عباس الجراري حينما ذكر تعريفا للحرية عند الوجوديين أو من أطلق عليهم اسم: "الفوضويين"، يقول معرفا الحرية عندهم: « هي القدرة على أن يفعل الإنسان ما يشاء دون قيود»[2].

يبدأ إحدى خطبه حول هذا الموضوع بمدخل عام قائلا: «الحياة لا يمكن أن تقوم بدون حرية، وإن الإنسان لا يمكن أن تتكون شخصيته، ولا يمكن أن يكون عاملا بدون حرية»[3].

إن مقاومة الإسلام للشرك ودعوته الحثيثة للتوحيد, هو تحرير للإنسان من عبادة الأصنام أو الخضوع لنزوات طغيان مالي أو عبادة أشخاص، لتأتي بعدها مراحل أخرى، بين الخطيب بعضا منها قائلا: «ثم يمكن أن نضيف حق

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 124.

[2]ـ الحرية والأدب: عباس الجراري، مطبعة الأمنية، المغرب، ط1، 1971، ص: 9.

[3]ـ نفسه، ص: 135.

المراسلة، وحرية الأمور الشخصية التي لا يريد الإنسان أن تعرف عند غيره، وأن تبقى من خصوصياته، كالرسائل وما إلى ذلك،فالله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[1] [2].

5 ــ المرأة قبل الإسلام وبعده:

داخل المتن الخطابي لعباس الجراري خطبتان بنفس العنوان:"مكانة المرأة في الإسلام"،إحداهما ألقيت قبل الأخرى بعامين،وفي هذا دلالة على أن الموضوع كان ملحا حينها، في عالم يرفع شعار الرفع من مكانة المرأة وتمكينها من حقوقها، وقبل بيان الخطيب الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة، أشار إلى وضعها قبل الإسلام،حيث يجمل وضعها في الجاهلية وفي حضارات أخرى قائلا:«وضع المرأة في السابق، سواء عند العرب أو غيرهم.

ــ كان يشك في كونها إنسانا؛

ــ وكانت متاعا يورث ويباع؛

ــ وكانت تحرق حين يموت زوجها؛

ــ وكانت لعبة في يد الرجل يلهو بها؛

ــ وكانت توأد، ومن العجيب أن الوأد مازال قائما إلى الآن في بعض البلاد التي تعارض كثرة الأولاد»[3].

أما عن موضوع مكانتها بعد الإسلام، فيشير إلى أن القرآن اعتنى بالمرأة كثيرا، فسمى سورتين بأسماء نساء: "النساء" و"مريم"، واحتفى بكثير من

---

[1]ـ الحجرات، الآية: 12.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 136.

[3]ـ نفسه، ج2، ص: 70.

النساء، كما احتفى بالرجال؛ منهن امرأة فرعون،وأم موسى، وامرأة عمران وغيرهن؛ ولعل تمكين الإسلام المرأة من حقها في المشاركة السياسية، من أكبر الأدلة على عنايته بها وبحقوقها، يقول الخطيب عن هذا الحق: «وقد بلغت مكانة المرأة في الإسلام أنها تقدم البيعة ــ وتلكم من أعلى درجات المسؤولية السياسية ــ لرسول اللهﷺ»[1].

المطلب الثالث: موضوعات من الواقع المحلي المغربي:

1 ــ الهوية المغربية وقضية التشبه بالغرب:

يدرج الخطيب عباس الجراري مسألة الهوية المغربية ضمن موضوع أكبر، هو موضوع التعارف مع الآخر، هذا التعارف لابد أن يكون مبنيا على أخذ وعطاء من الطرفين معا، هذا العطاء والأخذ، لابد أن يكون مميزا ذا طابع خاص، ليس عند الآخر، بمعنى أن تكون له ذات وهوية، وإلا كان تشبها بالأخر[2].

هذه الهوية الإسلامية المغربية لها مكونات ومقومات، يركز الخطيب على مكونين منها: الدين واللغة، يقول: «إننا حين نتأمل قضية الهوية بالنسبة للعرب والمسلمين، وبالنسبة لنا نحن المغاربة، نجد أن هذه الهوية لها مكونات، ولها مقومات، في طليعتها الدين واللغة؛ الدين أي الإسلام، واللغة أي اللغة العربية، وإن من حسن حظنا ــ نحن المسلمين ــ أن الله تبارك وتعالى جعل هذين المقومين مرتبطين؛ الدين واللغة، من خلال القرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية».

---

[1]ـ خطب منبرية، ج 2، ص: 73.

[2]ـ نفسه، ج3، ص: 33.

يفرق الخطيب–في مسألة التفاعل الحضاري الذي يجمع"الذات= الهوية"، و"الآخر=الغرب" – بين مسألتين: الأولى التسامح والانفتاح الإيجابي والحوار، وهذا لا ضير فيه ولا ضرر،إذ يجب أن نعرف ما نأخذ من الآخر: العلم والتكنولوجيا، وما يملك من سمات الحضارة، مثل السعي الجاد للعمل والإنتاج والمحاسبة وتصحيح الأخطاء، والمسألة الثانية تقليد الغرب في الأشياء التافهة الشكلية والسلبية،هذه نظرته لمسألة التشبه بالغرب، وقد تحدث عنها بمناسبة الاحتفال برأس السنة الميلادية، حيث فرق بين أمرين يخلط الناس بينهما، الأمر الأول: الابتهاج بحلول السنة الميلادية، وهذا لا مشكلة فيه، بسبب الاستخدام الواسع للتقويم الميلادي، وهجر الناس للسنة الهجرية، والأمر الثاني يقول الخطيب عنه: «وأما الاحتفال بذكرى عيد المسيح، فذلك أمر آخر، ينبغي أن نتوقف عنده قليلا.

لقد شاهدتم بعض المسلمين يتسارعون إلى المحلات التجارية لشراء الأشجار، يتسارعون إلى اقتناء الأضواء التي ستزينها، واقتناء الهدايا التي سيقدمونها لأولادهم في هذه المناسبة، ذلكم أصلا غير مقبول، لماذا؟ لأن الله ورسوله ينهيان عن التشبه بغيرنا»[1].

إن خطر الاحتفال بمناسبات الآخر الدينية، يكمن في كونه إشباعا لحاجة نفسية إنسانية، فاذا احتفلنا بعيد الآخرين، ربما لن نجد حاجة نفسية للاحتفال بأعيادنا الخاصة[2].

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 169.

[2]ـ نفسه، ص: 170.

ولأن الشباب هم أكثر فئة تتأثر بالعولمة، وتقع في التقليد والتشبه بالآخر، نجد الخطيب يوليهم عناية خاصة، لأن العولمة تأتي بأنماط عيش مستوردة[1]، لا تلائم واقع الحال في البلاد المستقبلة لفكرها الوافد، ينتج عن هذا أزمات ومشاكل تضع الشباب في حيرة بين نموذجين: مستورد مأمول، لا قبل للشباب للوصول إليه بسبب الفقر المادي، وبين واقع محلي لا مهرب منه، يعبر الخطيب عن هذا الأمر قائلا: «صحيح أن الحياة المعاصرة بمشاكلها وأزماتها بلغت تعقيدا ليس من السهل تجاوزه أو التغلب عليه، ونتج عنها مجتمع مليء بالتناقضات، فمن جهة هناك المشاكل الاقتصادية والأزمات الفكرية والاجتماعية، ومن جهة ثانية هناك مظهر الرخاء وطغيان روح الاستهلاك وحب الاستمتاع.

أمام هذا الواقع نجد الشباب إما مقبلا على الحياة السهلة،وساعيا إلى مثل هذه الحياة بكل ما فيها من تفسخ وانحلال، وإما رافضا وميالا إلى الفرار والهروب أو إلى الهدم والتحطيم»[2]، وهو ما يوضحه في كتابه "الإصلاح المنشود": « على هذا النحو تتسرب الحضارة، وتستهلك مظاهرها، وقد يتم ذلك بسرعة أو ببطء»[3].

2 ــ الدين واللغة، وضرورة الحفاظ عليهما:

مر سابقا أن الخطيب اعتبر الدين واللغة أهم مكونات الهوية المغربية، وهذا ينسجم مع تصوره الفكري الذي نجده في كثير من كتبه، يقول في كتابه"

---

[1]ـ نفسه، ج1، ص: 54.

[2]ـ نفسه،ج2، ص: 54.

[3]ـ الإصلاح المنشود، عباس الجراري، مطبعة الأمنية، ط1، 2005، ص:41.

الإسلام واللائكية": «إن الدين على العموم ــ وهو هنا الإسلام ــ يعتبر عنصرا أساسيا من بين العناصر المكونة للهوية الفردية والجماعية»،[1] ولأن المرجع الأول للخطيب هو القرآن الكريم، فقد ركز على الارتباط بين المكون الأول للهوية وهو الدين الإسلامي، وبين المكون الثاني للهوية المغربية وهو اللغة العربية، هذا الارتباط والتكامل يتجلى في أوضح مثال، وهو القرآن الكريم الذي يمثل المكونين معا: الدين واللغة، وهذا سر من أسرار الإعجاز[2].

القران الكريم كتاب معجز، معجز بتشريعه، ومعجزه بتوجيهاته وقيمه الخالدة، ومعجز بما فيه من معلومات علمية، ومعجز بما فيه من قصص وأمثال، ومعجز كذلك بلغته، وحفظ القرآن مقرون بحفظ اللغة، يقول الخطيب «جميل وجيد أن نحفظ القرآن الكريم على هذا النحو،وليس هذا هو ما نريد أن نتحدث عنه في هذه الخطبة؛ ولكن المحافظة على القرآن الكريم ينبغي أن تكون مقرونة بالمحافظة على اللغة العربية، كي نحفظ القرآن الكريم ينبغي أن نحفظ اللغة العربية، لأن هذه اللغة كما قلت هي أساس من أسس إعجاز القرآن الكريم، واللغة العربية مكون من هويتنا،إذ هي تشكل شخصيتنا ووجودنا،ومن دونها نحن لا شيء»[3].

يكتسي موضوع الحفاظ على اللغة العربية أهمية من كونه رابطا يربط بين مكونات المجتمع المحلي المغربي، ثم هو رابط كذلك بين هذا المجتمع وبين مجتمع أكبر هو الأمة العربية والإسلامية، يقول الخطيب: « إن هذه اللغة هي

---

[1]ـ الإسلام واللائكية، عباس الجراري، مطبعة الأمنية، ط1، 2003، ص: 37.

[2]ـ خطب منبرية،ج2، ص: 94.

[3]ـ نفسه، ج1، ص: 98.

الرباط الروحي الذي يجمع بيننا، يجمع بيننا في المغرب، ويجمعنا مع إخوتنا العرب، ويجمعنا مع المسلمين حتى أولئك الذين لا ينطقون بالعربية»[1]، وأول سبيل للمحافظة على اللغة العربية،هو الحفاظ على القرآن الكريم، هذا الكتاب المحفوظ بأمر الله، كما ورد في الآيات، مساهم أساسي في الحفاظ على اللغة العربية، وحينما حافظ المغاربة على القران الكريم من خلال تعليمه في الكتاب، وقراءته في المساجد وفي التراويح في رمضان، كانوا في نفس الوقت يحافظون على اللغة العربية، خصوصا وقت الأزمات المهددة للهوية، يقول:«نحن في عهد الحماية وعهد الاستعمار قاومنا الاستعمار ــ أيها الإخوة ــ بالتمسك بالدين، والتمسك باللغة العربية، فحين نقول اللغة العربية، نقول الثقافة العربية الإسلامية التي أبدعها المسلمون على امتداد التاريخ، ومعروف أن حفظ اللغة هو حفظ للدين كذلك»[2].

3 ــ الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي:

وظيفة الإصلاح الاجتماعي، أو مراقبة حركة المجتمع، من أهم وظائف الخطبة المنبرية، يبين الشيخ محمد العمراوي هذا الأمر، متحدثا عن أهم وظيفتين من وظائف خطبة الجمعة: « أولاهما: وظيفة التعليم في مستوياته المختلفة... وثانيتهما: وظيفة مراقبة حركة المجتمع»[3].

لهذا،يستأثر موضوع الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي بحصة وافرة من المتن الخطابي لعباس الجراري، وذلك راجع لمركزية موضوع الأخلاق في

---

[1]ـ نفسه، ج2، ص: 100.

[2]ـ خطب منبرية، ج 2، ص: 99.

[3]ـ نفحات ولفحات، محمد العمراوي، ج1، مطبعة شمس، ط1، 2019، ص: 444ــ445ـ(بتصرف).

الخطابة المنبرية الإسلامية،وأساس هذا الاهتمام، كون الرسالة المحمدية إنما جاءت لتتمم مكارم الأخلاق أساسا، وقد وضح الخطيب هذا الأمر حينما اعتبر الدعوة الإسلامية قائمة على أمرين أولهما:إحكام الصلة بين العبد وربه، وثانيهما ما يعبر عنه الخطيب بقوله:«والغاية الثانية: وهي بدورها أساسية، فتقتضي تطهير النفس من كل الشوائب والخبائث، وتدعو إلى تحسين علاقة هذه النفس بغيرها، أي كما يكون المسلم مطالبا بتحسين صلته مع ربه، يكون كذلك مطالبا بتحسين صلته مع الناس؛ وهذا لا يتم إلا بحسن الخلق، وبدونه لا يكون دين»[1].

قضية الأخلاق في الإسلام جوهرية وأساسية حث عليها القرآن والحديث في مواطن كثيرة، تسعى لنشر قيم الفضيلة بنظرة إسلامية، وقد تعددت الخطب التي خصصها عباس الجراري للحديث عن الجانب الأخلاقي في الإسلام،فهو ينظر بعين مراقب لما يطرأ على واقع أمته من تغير أخلاقي:«ما أجوجنا في ضوء هذه الحقائق إلى أن نتدبر حالة أخلاقنا، بعد أن مالت للتدهور، ومسها الانحلال، ما أحوجنا إلى أن نراجع أنفسنا وسلوكنا في مجتمعنا، وقد بدأت تطغى علينا القيم المادية التي حملتها إلينا الحضارة الصناعية الزاحفة، وحملت معها الأنانية والفردية والنفعية والتوسل لها بكل التبريرات، ولنفعل ذلك قبل فوات الأوان، ومادام أمامنا بصيص أمل وأمان»[2].

---

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 186.

[2]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 191.

4 ـ قضية التربية والتعليم:

تحدث الخطيب عباس الجراري عن هذا الموضوع في خطبتين كاملتين، وفي هذا دلالة على أن الخطيب كان مستشعرا مركزية موضوع التعليم في تحقيق الإصلاح المنشود، وقد أرجع الخطيب ما يعيشه العالم المتقدم من رخاء وقوة إلى اهتمامه بالتعليم،كما أرجع ما يعانيه العالم المتخلف من فقر وهوان إلى إهماله هذه القضية، يقول الخطيب «أما بعد فإن العالم اليوم ــ كما نعيشه ونلاحظه ــ منقسم إلى شطرين:

1 ـ عالم متقدم؛

2 ـ عالم متخلف.

والمقياس المميز بينهما هو العلم، فبالعلم تبنى القوة العسكرية، ويقام الاقتصاد وتتطور الفلاحة، وتنمو التجارة، وتزدهر الحياة الاجتماعية»[1]، فالإسلام ينظر للعلم بوصفه فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة، وليس ترفا، كما أن أول أمر إلهي لرسول الإسلام كان أمرا بالقراءة والتعلم[2]، والآثار النبوية وقبلها الآيات القرآنية التي تمجد العلم وتلح في الدعوة إليه كثيرة، ويستشف من إكثاره إيراد الأدلة التي تحث على التعلم،نوع من اللوم الخفي على ما آلت إليـه أمة اقرأ من جفاء للعلم والعلماء، ومن فصل بين التعليم والتربية كذلك، يقول الخطيب: «إذن تأملوا ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ في هذه الآيات التي كثيرا ما نرددها ونحفظها ونصلي بها، هذه الآيات مليئة بالتوجيه التربوي، وتدلنا

---

[1] ـ نفسه، ج3، ص: 297.

[2] ـ نفسه، ص: 301.

على أن عناية القرآن بالتربية جاءت مقترنة بعنايته بالتعليم، بل إن التربية سابقة على التعليم ولاحقة عليه كذلك»[1].

أما إذا انتقلنا لواقع التربية في المجتمع المحلي، فسنجد أن من عادة الخطيب أن يستثمر مناسبة الدخول المدرسي للحديث عن واقع التعليم في المغرب، واصفا واقع الحال ومستشرفا المستقبل، يبدأ الجراري إحدى خطبه بعرض إحصائيات حول عدد المتمدرسين ثم يعقبه بتنبيه إلى أمر شائع داخل المجتمع المغربي، هذا الأمر هو ربط الناس تقدم التعليم والوطن بمدى زيادة عدد من يرتادون الشعب العلمية، يصحح الخطيب هذا الأمر قائلا: «لقد أصبح شائعا أن العلم النافع اليوم هو الذي يتصل بالتكنولوجيا، هذا صحيح، ولكن التكنولوجيا نفسها لا تكون مجدية وإيجابية إلا إذا وازنها في العلم عنصر إنساني»[2]،هذا ليس هو المشكل الوحيد، بل الأزمة أعمق، تنبع من نظره غير سليمة للتعليم وأهميته، وهذا ينتج عنه عدم تخصيص ميزانيات كافية[3] لهذا القطاع،كما ينبه الخطيب إلى مشكل يشتكي منه الجميع،إنه غياب الأثر الأخلاقي والتربوي بعد سنوات من التعليم والتربية، يقول الخطيب: «التعليم ــ أيها الإخوة ــ ينبغي أن يكون مقترنا بالتربية، وإلا فإنه يكون جافا وقد يصبح خرابا ووبالا سواء على مستوى الأفراد، أو على مستوى الجماعات والأمم»[4].

---

[1]ـ نفسه، ج1، ص: 164.

[2]ـ خطب منبرية، ج3، ص: 307.

[3]ـ نفسه، ص: 307.

[4]ـ نفسه، ص: 308.

5 ـ الإسلام ومشكلات البيئة:

ينبه الخطيب في بداية حديثه عن هذا الموضوع إلى أن الكون قائم على التوازن الدقيق وعلى الانضباط، بحيث لو تغير شيء من قوانين تنظيمه لاستحالت الحياة على هذه الأرض،ويصف الخطيب هذا التوازن الكوني قائلا: «ذلكم أن الله تبارك وتعالى خلق الكون، وخلق البشرية، وخلق كل شيء بميزان وبمقدار، ولما فيه الخير والصلاح، ولكن الإنسان هو الذي يتدخل في الطبيعة فيفسدها ويلوثها ويعتدي عليها بقصد أو بدون قصد»[1].

يقسم الدكتور عباس الجراري مظاهر الاختلالات التي يشهدها حاضرنا البيئي المغربي إلى أقسام،أغلبها ناتج عن سعي الإنسان غير المتوازن لاستغلال الموارد الطاقية الجديدة،أو لتشييده المدن الضخمة،أو للزيادة غير المسبوقة في وسائل النقل المتنوعة، يقول الخطيب:

«هناك كذلك هذه الإشعاعات النووية التي تلوث الكون، نتيجة استخدام الطاقة النووية، ونتيجة استخدام الوقود النووي، هذه الأضرار التي قد تستمر مئات السنين، بل الآلاف من السنين. ثم هناك من مظاهر التلوث، ما تصنعه يد الإنسان حين تزيل المساحات الخضراء وتقيم المصانع والعمارات، سواء في المدن أو حول المدن، وإلى هذه المظاهر نضيف ذلكم التلوث الذي يصنعه كل واحد منا من غير أن يدرك ضرره وأن يدرك خطره، هذه الأزبال التي نلقي بها في أبواب الدور وفي الأحياء، هذه الغازات السامة التي تلقي بها السيارات»[2]،

---

[1] ـ نفسه، ج2، ص: 233.

[2] ـ خطب منبرية، ج1، ص:174.

وهناك نوع آخر سماه تلوثا فيزيائيا، وهو الناتج عن الأصوات الضخمة المنتجة للضوضاء بسبب أبواق الآلات وغيرها.

يقترح الخطيب بعد هذا الوصف لواقع المغرب البيئي وصفة إصلاح وعلاج، منطقها إسلامي شرعي، عنوانه: الطهارة في مفهومها الإسلامي، فإلى جانب بيانه عناية الإسلام بتطهير الجسم واللباس، وجعلهما شرطا في صحة الصلاة، أشار الخطيب إلى أمرين أساسيين: الأول عناية المسلمين بالبيئة قديما، مقارنا بينها وبين حال الناس اليوم[1]، والثاني تنبيهه إلى أن الخلل ليس في البيئة المحيطة بالإنسان فقط، بل هنالك أنواع من التلوث لا تقل خطرا،يعبر الخطيب عنه قائلا: «ولا ينبغي هنا أن ننسى، وينبغي أن نذكر بأن التلوث يكون أيضا تلوثا فكريا، ويكون تلوثا عقديا، ويكون تلوثا يصيب الذات والإحساس، ويصيب التصرف ومختلف الجوانب المعنوية، كالسلوك والأخلاق، إن نحن لم نحسنها، فإننا نكون ملوثين للطبيعة البشرية التي خلقها الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم»[2].

كانت تلك مواضيع فكرية، مستمدة من بعض الخطب المنبرية للدكتور عباس الجراري، وفي نهاية هذا الفصل: " مواضيع فكرية "، خلصت فيه إلى النتائج التالية:

ـــ الخطابة الجرارية خطابة إصلاحية بالأساس، وفي مقاربتها الإصلاحية تتوسل بأمرين:

---

[1] ـ نفسه، ج3، ص: 248.

[2] ـ نفسه، ج2، ص: 235ـ236.

الأول: التعليم:

عبر نشر المعلومة الفقهية، والثقافة الإسلامية، إما عبر الرجوع للتاريخ، للتذكير بأمجاده، أو عبر وصف الحاضر، وتتبع ما استجد من القضايا الفكرية محليا ودوليا.

الثاني: الإرشاد:

ـــ يحرص الخطيب على اختيار المواضيع التي لها علاقة مباشرة بحياة الناس، والتي تتحدث عن مشاكلهم وهمومهم، باحثة عن حلول لها، بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية.

إلى جانب هذا، يحضر الموضوع المحلي، عبر اقتناص فرص المناسبات الوطنية للتذكير بالأمجاد، وذم الاستعمار ومظاهر التخلف الخلقي والاقتصادي والاجتماعي، مع حرص شديد على تتبع مشاكل الحاضر المغربي، في الثقافة والتعليم والبيئة والصحة والاقتصاد.

الفصل الثاني:
قضايا فنية في خطب عباس الجراري المنبرية

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: اللغة الخطابية خصائصها ومكوناتها.

المبحث الثاني: الأسلوب الخطابي عند عباس الجراري.

المبحث الثالث: حداثة اللغة والأسلوب في خطب الجراري.

المبحث الأول: اللغة الخطابية خصائصها ومكوناتها:

ساعدت موسوعية الخطيب عباس الجراري وتنوع مشارب تكوينه، بين تكوين شرعي، وآخر أدبي، وثالث فكري، في بلورة لغة واضحة العبارات، تنساب فيها الأفكار عذبة سهلة، مزيلة كل الحواجز التي يمكن أن تعيق تحقيق التواصل بين المرسل للخطاب والمستقبل له، ومع أن لغة الخطيب تمتاز بالوضوح، وهو مسلك يخالف نهج الخطابة في القرون الماضية،حين كانت مثقلة بالأسجاع، وإلزام اللغة الخطابية ما لا يلزم من المحسنات البديعية، وهذا يكسب لغة عباس الجراري راهنتيها وحداثتها،ومع كل هذا الوضوح فقد أشارت الأستاذة حميدة الصايغ الجراري، إلى أن الخطيب كان يحرص على شرح المفردات التي يراها تحتاج زيادة في الوضوح، تقول:«ومن اللافت أنه يضمنها شرحا للمفردات التي ترد في نص أو حديث يستشهد به، أو آية قرآنية تدعم ما يدعو له، فيبين معاني كلماتها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فهو يشرح "التواد" و"التعاطف" و"التراحم" و"الدثور" و"الفضول" و"البضع" و"الأثرة" و"الإيثار" وغيرها، دون أن يغفل الإثبات ببعض الشعر أو الأمثال، سواء منها العربية أو العامية»[1].

المطلب الأول: خصائص اللغة في خطب الجراري:

1ـ الوضوح والبعد عن التكلف:

تكاد تخلو خطب عباس الجراري من ألفاظ حوشية أو صعبة، وهذا أمر يبدو أنه كان مقصودا منه، مع أن موقع المسجد الذي كان يلقي فيه خطبه "مسجد للا سكينة" بحي الرياض بالرباط يشهد حضور جمهور من المصلين من

[1]ـ تقديم خطب منبرية، ج3،ص: 7.

مشارب مختلفة ثقافيا واجتماعيا، يتكون الجمهور من طبقة من الموظفين السامين، ثم الأساتذة والمثقفين، إضافة إلى جمهور من العمال، وسكان المناطق المجاورة، وهذا حسب استبيان أنجزته إلهام المتمسك، في دراستها: "حول الخطاب الديني عند الدكتور عباس الجراري"[1].

إن وضوح اللغة وبعدها عن التكلف، يحقق للخطيب عنصر الإفادة، إذ يربط بعض الدارسين للخطابة بين درجة الوضوح، وبين درجة تحقق الإفادة، وهو ما سماه محمد العمري في كتابه: "بلاغة الخطاب الإقناعي": "المعنى المتجدد"، حينما يشير إلى أن سبب إيراد الخطباء الألفاظ التي تحتاج شرحا لمعانيها، كثيرا ما يرجع إلى التزامهم بالإيقاع الصوتي، أي السجع، الذي يجعلهم لا يختارون الألفاظ التي يريدون، بل ضرورة الإيقاع هي التي تفرض عليهم ألفاظا خاصة، وهو أمر سار عليه أغلب خطباء الإسلام، اللهم إلا خطباء الصدر الأول، يقول: «وهذا طابع خطب الرسول والخلفاء ورجال الدولة في الصدر الأول، فنجد في خطب أبي بكر وعمر فواصل قصيرة متعادلة في الغالب، غير ملتزمة للسجع، وإن وقع فيها من حين لآخر، ويمكن أن نعتبر خطبة "حجة الوداع" نموذجا لهذا النمط من النثر، فإن بعض فقراته تخلو من هموم الازدواج، لسعيها الحثيث وراء المعنى المتجدد»[2].

---

[1] ـ الخطاب الديني عند الدكتور عباس الجراري، المرجع والبنية، (م.س)، ص: 506ـ (بتصرف).

[2] ـ في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط2، 2002، ص: 122.

2 ـ السجع ومدى حضوره:

السجع من المحسنات اللفظية الخاصة بالنثر، وهو «توافق الفاصلتين في الأخير من النثر»[1]،وقد افتتن الخطباء بالسجع وبالإكثار منه، وهم بين متقن لكيفية استعماله وبين مغال فيه، ومن أشهر أمثلة الخطب المعروفة بأسجاعها ديوان "ابن نباتة"، ومشكلة السجاع أنهم يجعلون المعاني خدما للألفاظ، والذي يستحسن عكس ذلك، يقول صاحب جواهر البلاغة: « ولا يستحسن السجع إلا اذا كانت المفردات رشيقة والألفاظ خدما للمعاني»[2]، كما أنه: « لا يستحسن السجع أيضا إلا إذا جاء عفوا خاليا من التكلف والتصنع، ومن ثم لا تجد لبليغ كلاما يخلو منه، كما لا تخلو منه سورة وإن قصرت»[3].

يحضر السجع في خطب عباس الجراري في استفتاح الخطب خصوصا، وذلك لأن الاستفتاح أغلبه عبارات "مسكوكة"، أما باقي فقرات الخطبة، فتكاد تخلو من السجع إلا ما جاء عفوا أو شاهدا قرآنيا أو حديثيا، ومن أمثلة الاستفتاحات المسجوعة قوله: «الحمد لله الذي شرف التعليم، وأشهد أنه لا إله إلا الله هو، نسب إلى ذاته هذا الأمر العظيم، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، المبعوث بالتبليغ وتعليم الدين القويم، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم»[4].

---

[1] ـ جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار التقوى، طبعة جديدة، 2017، ص: 414.

[2] ـ نفسه، ص:415.

[3] ـ نفسه، ص: 415.

[4] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 166.

3 ـ احترام قواعد اللغة والنحو:

نظرا لمكانة الخطيب العلمية ودرجته الأدبية واللغوية،يكون من تحصيل الحاصل، ومن توضيح الواضح الحديث عن احترامه قواعد اللغة، لكن فشو اللحن على المنابر وانتهاك قواعد العربية عليها،يعطي لهذا المبحث سبب وجوده، كما أن هذا الاحترام يدل من جهة ثانية على حرص الخطيب على استعمال لغة فصحى واضحة، وهذا ينسحب على أغلب كلمات خطبه وعباراتها، اللهم إلا بعض الجمل التي يفضل الخطيب إيرادها بالعامية دون إعرابها أو تعريبها.

4 ـ حضور اللهجة المحلية:

نظرا لكون الأذن تألف سماع بعض الألفاظ أو العبارات بلغة معينة أو بلهجة محددة،فإن هذا الاعتياد يجعل إيرادها بلغة أخرى أو إعراب ألفاظها صعبا،إذ غالبا ما سيحتاج لشرح تلك الألفاظ مرة أخرى، حتى يحصل المعنى وتتحقق الفائدة، وحينها قد يضيع المعنى وتذهب الفائدة.

مثال لذلك قول الخطيب شارحا خطر نكث عهد البيعة: « كيجيبها غير فراسو»[1]، لكن يلاحظ أن الخطيب يحرص على ألا يوغل في استعمال الألفاظ العامية، لأن الإكثار منها قد يصيب الأسلوب بالضعف والابتذال، وينزل به إلى لغة العامة ورطانتهم.

[1] ـ نفسه، ج2، ص: 137.

المطلب الثاني: الحقول المعجمية في خطب الجراري:

1 ــ المعجم الديني والإصلاحي:

لكل خطاب قائمة من المفردات الخاصة بحقله الدلالي، ترتبط معه بعلاقة معنوية، وقد هيمن على المنجز الخطابي لعباس الجراري حقول معجمية ثلاثة: حقل ديني ثم تاريخي فثالث واقعي.

وليس مستغربا أن يطغى المعجم الديني داخل البنية اللغوية لخطب تعتبر شعيرة دينية، لهذا يلاحظ أن الألفاظ المستمدة من المعجم القرآني، أو معجم الحديث النبوي كثيرة جدا، من بداية الخطبة إلى نهايتها، كذلك الألفاظ المنتمية لحقل الروحانيات أو العقيدة أو الأخلاق أو العبادات أو الغيبيات.

ويكفي أن نلقي نظرة على أي خطبة لنرى حضورا واضحا للمعجم الديني، وإن كانت ستختلف نسبة حضوره من خطبة إلى أخرى، فمثلا خطبة تحت عنوان "التقوى"[1]، من بدايتها إلى نهايتها، تعثر على وحدات تنتمي للحقل الديني، مثل «التقوى ــ المؤمنين ــ الأتقياء ــ المصحف ــ الفاتحة ــ الصلاة ــ العبادات ــ يتصدقون ــ يزكون ــ الإيمان ــ الآخرة ــ القران ــ مسلمون».

أما المعجم الإصلاحي فلا يقل حضورا داخل المتن الخطابي، ذلك لأن الهدف من إلقاء الخطبة هو هدف إصلاحي غالبا، وهذا يدل على أن الحقلين يستدعي أحدهما حضور الآخر، إذ هما حقلان متكاملان في الأساس، فالإصلاح منطلقه ديني، كما أن الدين بمظاهره العقدية أو التعبدية أو الخلقية أو

---

[1] ـ خطب منبرية، ج 2، ص، ص: 218.

التثقيفية التعلمية هدفه هدف إصلاحي، ويمكن لقارئ خطب عباس الجراري أن يستنتج استنتاجا عاما وأساسيا يلخص في أن خطبته هي خطبة إصلاحية بالأساس، تروم إصلاح الفرد والجماعة والدولة والأمة، إصلاح يهدف الرقي بالنفس البشرية وبالواقع الاجتماعي والاقتصادي للفرد والمجتمع والأمة، لهذا يحضر المعجم الإصلاحي بمصطلحاته الدينية المعروفة مثل:«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- العدل ــ الظلم ــ الغش ــ التأسي بأخلاق الإسلام»، كما يحضر بمصطلحاته المجتمعية المحلية، مثل:«مشكلات بيئية ــ الواقع الاجتماعي والأخلاقي ــ الأمية ــ أزمة التربية والتعليم».

ولن يجد القارئ صعوبة في الإحساس بأن الخطيب يحمل هما إصلاحيا وهاجسا يجعله يرصد الخلل، ثم يشخصه ثم يقومه، وهذا ينسحب على أغلب خطبه، التي عالجت الانحراف المجتمعي، والتخلف الذي تعانيه الأمة الإسلامية.

2 ــ المعجم التاريخي:

يحضر الحقل الدلالي ذو الحمولة التاريخية حضورا وازنا داخل المتن الخطابي للخطيب عباس الجراري،لأن الخطيب يؤمن بأن إصلاح الواقع يتطلب قراءة عميقة وصحيحة لأحداث التاريخ، حتى لا يتكرر الخطأ نفسه مرات عديدة.

والألفاظ في المعجم التاريخي تتلون بلون الفترة التاريخية التي تحكي أحداثها، تبدأ بأحداث فترة بداية الإسلام، ويقصد الخطيب به البعثة والهجرة وتكوين الدولة، والمعجم التاريخي الخاص بهذه الفترة يحمل معاني دينية مثل: «المولد النبوي ــ البيعة ــ غزوه بدر- غزوه فتح مكة ــ الهجرة»، وحينما ينتقل الخطيب من تاريخ الإسلام إلى تاريخ محلي نرى الألفاظ تكتسي

معاني وطنية، مثل: «الحماية ــ المقاومة ــ المعاهدات الاستعمارية ــ الاستقلال ــ المسيرة الخضراء ــ ذكرى تأسيس الجيش ــ عيد العرش».

ويحق للدارس أن يتساءل، لم يحضر التاريخ كثيرا في خطب الدكتور الجراري؟

السبب الأول: هدفه تعليمي ثقيفي، يرمي إلى محو أمية تاريخية يعاني منها نسبة من المتلقين، والسبب الثاني هو بث وعي تاريخي وتقديم قراءة خاصة لأحداث التاريخ، تستمد فكرها وعمق تحليلها من الثقافة الواسعة والموسوعية للخطيب، ثم هناك داع ثالث، وهو فك غوامض الواقع، عبر ربطه بأحداث التاريخ، يقول مبينا علاقة حدث الإسراء من مكة زمن البعثة، إلى المسجد الأقصى، بواقع آخر تعيشه الأمة وهو احتلال فلسطين: «وقد كان مبتدأه حدث الإسراء من المسجد الحرام، وكان منتهاه في المسجد الأقصى، وهذا يدل على ضرورة اعتبار هذين المكانين، وحفظ قداستهما، وصيانة طهرهما»[1].

3 ــ المعجم الواقعي المعاصر:

وهو معجم لا يقل حضورا، ولأن الخطيب يعيش زمانه وواقعه، يحمل هم إصلاحه، وقبل ذلك تشخيص أمراضه وأسباب تخلفه،وهنا سيتجاور المعجم الواقعي بمعاجم مساندة، سياسية واجتماعية واقتصادية وبيئية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، ينقسم هذا المعجم حسب الجغرافيا والهوية، بين انتماء لوطن هو المغرب، وانتماء أعم لأمة إسلامية ممتدة الأطراف.

---

[1]ـ خطب منبرية، ج3، ص: 84.

أ ــ معجم واقعي محلي:

يشخص مكامن الخلل في هذا الواقع، يخاطب الطبقات الشعبية ليعيش همومها ويشخص أزماتها الفكرية والنفسية والاقتصادية، ثم ليقترح حلولا منطلقاتها دينية إسلامية، وهذه عينة من الألفاظ المنتمية لهذا الحقل: «الدخول المدرسي ــ الشباب المغربي ومشاكله ــ التحديات الاقتصادية ــ ضرورة تحلي نواب الأمة بالتقوى ــ البيئة والتلوث ــ ظاهرة التسول ــ موقف الإسلام من الظلم ــ الأمانة ــ الرشوة».

ب ــ معجم واقع الأمة الإسلامية:

وهو معجم يدعو للوحدة بين أقطار هذه الأمة،ويبين أسباب تأخر هذا الواقع، وأسس نهضته وتقدمه، وما يحفل به هذا الواقع من شبهات تثار، وأزمات وحروب تشتعل، ومقدسات تحتل، وهذا يعطي للخطاب ثراءه وتنوعه وراهنيته، يستمد هذه النظرة من عالمية الدعوة الإسلامية، والأثر البالغ الذي تركه العرب تاريخيا في إفريقيا والأندلس وأجزاء واسعة من العالم الإسلامي، محاولا التذكير بذلك الأثر والدعوة لاسترجاعه، وإجمالا، هو معجم يصف واقع المسلمين، ويقدم حلولا من واقعية الإسلام وقابليته للتطبيق في حياة المسلمين المعاصرة،والعبارات التالية، المستمدة من هذا المعجم تدل على هذا: «الحرب والسلم في الإسلام ــ منطلقات الواقعية الإسلامية ــ المسلمون بين التقدم والتأخر ــ شمولية الإسلام وتكامله ــ إمكان عطاء المسلمين اليوم ــ المجتمع الإسلامي ليس مجتمع صراع ــ النظام الاقتصادي في الإسلام ــ المجتمع الإسلامي المجتمع مسؤول».

4 ــ الألفاظ وتلويناتها:

تحضر الألفاظ الجزلة القوية داخل النص، والقوة هنا لا تعني التعقيد أو إدراج الغريب من الألفاظ، لكن القصد تأثير الجانب الأدبي والتضلع في علوم اللغة العربية -اللتين عرف بهما الجراري- على ألفاظ المتن الحكائي، هذه الجزالة اللفظية ترد إما على شكل جمل من إنشائه الخاص، أو على شكل اختيارات من شواهد أدبية قرآنية أو شعرية أو أمثال فصيحة، مع ملاحظة أن الألفاظ الجزلة القوية لا ترد تباعا في تعبير واحد،وإنما كلمات داخل هذا التعبير أو ذاك الأسلوب،ومثال ذلك: «جذوة ــ وطد ــ التبجيل ــ تتلكأ».

وكما تحضر الألفاظ القوية في بعض المواضيع، فهناك مواضع أخرى تستدعي حضور ألفاظ رقيقة عذبة، وهذا أمر يتغير بتغير نفسية الخطيب، لأنه إنسان مثل بقية الناس، يفرح إن سرته الحياة، وقد يحزن ويتألم إن صدمته أهوالها ومفاجآتها المحزنة، وحينما يشارك الخطيب جمهوره هذه المسرات وتلك الأحزان، يستعمل ألفاظا رقيقة لطيفة تكشف عن مكنون قلبه،ومثالها خطبة ألقاها عباس الجراري في الأيام الأولى لوفاة أمه، جعلته يقلب النظر العميق في فلسفة الوجود، عنوان الخطبة: "فلسفة الوجود في الإسلام"، يحكي في مطلعها سبب اختياره لهذا الموضوع قائلا: «أما بعد، فإن الإنسان في حياته يصادف مسرات وأحزانا،فإذا كان في حال سروره يغفل ويسلو، فإنه في حال حزنه ينتبه ويتأمل نفسه وما حوله، وفي غمرة الأسى الأليم الذي أعانيه منذ أسبوعين بانتقال الوالدة رحمة الله عليها، والذي شاركتموني فيه جزاكم الله وأثابكم، ارتأيت أن أتناول في خطبتي اليوم موضوعا، طالما فكرت في عرضه

لكم، هو فلسفة الوجود الإنساني في الإسلام، أعني بالوجود: ظاهرة الحياة وما يضادها ويناقضها، وهو الموت وما يفضى إليه»[1].

وقد يغلب معجم الشوق والحنين والحب، فيعبر عن سبب احتفاله بمولد الرسول قائلا: «ونحتفل به لنقتدي برسول اللهﷺ ونتبعه؛ ثم نحتفل بالمولد الكريم لأننا نحب رسول اللهﷺ، نحبه لفضائله ومحامده وأخلاقه وسجاياه، ونحبه لهداية المسلمين على يديه، ونحبه لجهاده في سبيل الله، وما تحمل من أجل ذلك، ونحبه لأنه شهيد علينا ونحن شهداء على الناس، ونحبه لأنه رسول اللهﷺ، ومبلغ دعوته وخاتم رسالاته»[2].

---

[1]ـ خطب منبرية، ص: 145.

[2]ـ نفسه ص: 178.

المبحث الثاني: الأسلوب الخطابي عند عباس الجراري:

الأسلوب الخطابي ينتمي في وسائله وخصائصه إلى الأساليب الأدبية، التي تتميز عن الأسلوب العلمي في الأفكار والألفاظ التي تحمل تلك الأفكار، فالأسلوب الأدبي ــ الذي يضم الأسلوب الخطابي ــ يعتمد في إيصال الفكرة إلى المستمع أو القارئ على دعامتين أساسيتين: استثارة العاطفة، والخيال الأدبي.

المطلب الأول: تنوع الأساليب في خطب الجراري:

1 ــ براعة الاستهلال أو التشويق في المقدمات:

يقصد بالاستهلال بدء الكلام، أي أول ما يطرق سمع المتلقي للخطاب، تقول إلهام المتمسك: « الاستهلال هو بدأ الكلام، ويناظره في الشعر المطلع، وفي فن العزف على الناي، الافتتاحية، وقد مثل هذا الأخير عنصرا هيكليا استوقف النقاد القدماء والمحدثين، فحاولوا تفسيره، وضرورة الاهتمام به»[1]، ومن حسن الاستفتاح الخطابي عند العرب ما أطلق عليه "براعة الاستهلال"، عرفه أبو عثمان الجاحظ نقلا عن أبي علي القالي قائلا: « وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر، البيت الذي إذا سمعت صدره، عرفت قافيته»[2]، والقصد أن يخصص الخطيب مدخلا خاصا لكل خطبة يناسب موضوعها، يشير إليه في بداية خطبته،يجعل السامع يعرف موضوع الخطبة قبل قول الخطيب "أما بعد".

يحرص رواد الخطابة المحدثون على إيلاء الكلمات الأولى من الخطبة أهمية قصوى، يقول ديل كارنيجي: «سألت مرة الدكتور لين هارورد هاف،

---

[1] ـ الخطاب الديني عند عباس الجراري المرجع والبنية، (م.س)، ص: 394.

[2] ـ البيان والتبين، (م.س)، ص: 116.

الرئيس السابق لجامعة نورسوترثن، عن أهم ما علمته تجربتك كخطيب، وبعد أن فكر لحظة أجاب : أن تفتتح بمقدمة بمثيرة، وبشيء يأسر الانتباه في الحال»[1]، ولعل كارنيجي يقصد أن الكلمات الأولى إما أن تجعل المتلقي مهتما بالخطاب، لأن الكلمات الأولى أسرته وأخذت بلبه، وإما أن تجعله يصرف النظر عن هذا الذي يقال.

وقد اهتم الخطيب عباس الجراري بمستهل خطبه كثيرا، إذ نراه يخصص لكل خطبة مدخلا خاصا، يشير فيه إلى الموضوع الذي سيتناوله،ومثاله قوله في خطبة "الغضب لانتهاك الحرمات"، على إثر الحملة الغربية ضد المغرب: «الحمد لله الذي دعانا إلى تعظيم الحرمات، وأشهد أن لا إله إلا هو، وعد بالنصر من ينصره في الشدائد والأزمات، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، علمنا كيف نغضب حين تنتهك المقدسات»[2].

هناك اتفاق بين المنظرين لخطبة الجمعة وأحكامها من الفقهاء والباحثين في مجال الخطابة العربية وبلاغتها أنها تبدأ بعبارة "الحمد لله"، لكن هناك خلاف حول ضرورة الإشارة للموضوع من عدمه، وذلك راجع للأحاديث التي تثبت أن الرسولﷺ كان يستفتح خطبه بعبارة لا تختلف ولو اختلف موضوع الخطبة، ويسمى هذا الاستفتاح:"خطبة الحاجة"، إذ كان الرسولﷺ يبدأ خطب الجمعة وغيرها بقوله:« الحمد لله نحمده ونستعينه،وأعوذ بالله من شرور أنفسنا...»[3].

---

[1]ـ فن الخطابة، (م.س)، ص: 190.

[2]ـ خطب منبرية،ج1، ص: 213.

[3]ـ ابن عباس، سنن ابن ماجة، رقم: 1893.

ومن خصائص استفتاحات خطب عباس الجراري ما يلي:

أ ــ الإيجاز والقصر:

وهو ملاحظ في جل خطبه، خصوصا في الخطب الثانية، إذ نراه لا يتجاوز خمسة أسطر في مستهل الخطبة الأولى، وثلاثة أسطر إلى أربع في مستهل الثانية.

ب ــ الإشارة للموضوع في حمده وتشهده:

وهذه مسألة سبق الحديث عنها، وهي من الأمور الثابتة في جل خطبه المنشورة، حيث يجعل من عبارة "الحمد لله" ومن "الشهادتين" جسرا بينه وبين المتلقين، يفهمون من خلالهما موضوع خطبته.

ج ــ سجع الاستهلال دون تكلف:

وهذا راجع إلى أن مقدمة الخطبة مثل البيت الأول من القصيدة العربية، وهو ما يسمى بالتصريح، والغرض منه الترنيم والتنظيم وإثارة الأذن والأسماع، ولفت انتباه المتلقي،ومثال ذلك قوله في مستهل خطبة "مظاهر الواقعية الإسلامية": «الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأشهد أنه لا إله إلا هو، بين لنا الحلال والحرام، وأشهد أن سيدنا محمدا نبيه ورسوله نبي الإخاء والوفاق والوئام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام»[1].

2 ــ بلاغة الخاتمة وحسن الختام:

عبارات الختام لا تقل أهمية في قوة التأثير عن المقدمة، وذلك لأنها: «هي ما يتبقى من الخطبة في نفس السامع»[2]، فبعد أن يفرغ الخطيب من عرض

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 64.

[2]ـ الخطيب وواقع الأمة، (م.س)، ص: 12.

موضوعه وسوق أدلته يحسن به أن ينهي خطبته بخاتمة بليغة مؤثرة، وذلك لأنها آخر ما يطرق أذن السامع ويبقى في ذهنه، ولأن الخطيب عباس الجراري يدرك أن الخاتمة هي ما سيبقى في آذان المتلقين بعد خروجهم، وهي غالبا ما يستفيدون من خطبته، نراه يحرص على تلخيص فكرة الخطبة فيها، مع تجويد العبارة والتفنن فيها، إذ ربما كانت الخاتمة ضعيفة فذهبت بكل فوائد الخطبة ومعانيها، يقول الخطيب في ختام خطبة عنوانها الشورى: « إن الدولة التي يكون فيها الحاكم المستبد، أو المواطن الذي يكون متحكما في بيته، أو في عمله، أو في أي مؤسسة يديرها، فإنه يشقى، ويشقى معه الناس، بدءا من الأسرة إلى الأمة»[1]، مثل هذه العبارات القوية الجامعة لشتات الموضوع من علامات نجاح الخطيب.

3 ـ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة:

أوصى الإسلام الدعاة ـ وضمنهم الخطباء ـ باستعمال أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وتجنب الشدة والفظاظة، ذلك أن: «الغلظة والشدة والخشونة والفظاظة في الدعوة، والتشفي وفضح العموم والخصوص، من أخطر عوامل التنفير عن الحق، واستعداء الخلق»[2]، وإن المتصفح لديوان خطب عباس الجراري المنشورة في ثلاثة أجزاء، يلاحظ أن أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة أسلوب يسم جل خطبه، حتى في بعض الخطب التي خصصها للرد على خصوم دينه أو وطنه،وحينها نراه يرد ردا قويا لكن بحكمة وقول حسن، مثال ذلك خطبة رد فيها على شاب متحمس جاء محتجا ومبينا أنه لا يتفق مع ما

---

[1]ـ نفسه ص: 280 ـ 281.

[2]ـ الأساس في الدعوة والخطابة، عبد الرحمان بوكيلي،طوب بريس، ط1، 2006، ص: 67.

ورد في خطبة سابقة، يحكي الخطيب قائلا: «ففي أعقاب صلاة يوم الجمعة الماضي، جاء شاب غيور متحمس، وعقب على انتقادي التشبه بغير المسلمين، وقال: إن التقليد وإن التشبه أمر طبيعي في الإنسان، وحتى لو أراد المسلمون ألا يتشبهوا بغيرهم فأين هو البديل؟ وأين هو النموذج الذي عليهم أن يتبعوه؟ ــ أيها الإخوة المؤمنون ــ هذا كلام كبير ومهم، ويدل على فكر متنور ووعي عميق»[1]، فإعجاب الخطيب بقول الشاب ووصفه له بأنه صاحب فكر متنور ووعي عميق، لا يدل على أن الخطيب وافقه في رأيه، حيث نرى الخطيب خصص الخطبة ذاتها للرد عليه، والتحذير من التشبه بهوية أخرى مغايرة لثوابت الأمة المغربية وهويتها، ولكنه رد حكيم دون تجريح ولا غلظة.

4 ــ أسلوب الإنذار والتحذير:

وهذا الأسلوب لا يتناقض مع الذي قبله، إذ الجامع بينهما الحكمة والموعظة الحسنة، لكن الموقف هنا يستدعي التحذير، من خلال التخويف والإنذار من خطر محدق،وهو ما استعمله الخطيب في خطبة عنوانها " أسباب الظلم وعواقبها"،إذ نرى الخطيب يستعمل أسلوب تحذير قوي: « والسبب الثاني هو الطغيان، والطغيان يكون في جميع النعم التي يرزقنا الله إياها، في المال في العلم في الجاه في السلطة وفي النفوذ، كل ذلك حين يتمكن منه الإنسان ويدخله شيء من الغرور بنفسه فإنه يطغى»[2].

---

[1] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 181.

[2] ـ نفسه، ج2، ص: 254.

5 ــ أسلوب الحجاج:

الخطبة المنبرية عند عباس الجراري ساحة لنقاش الآراء والتعقيب على الأحداث، ورد التهم التي ترمى بها الحضارة الإسلامية، لهذا يحضر الجدال والدفاع عن وجهة النظر كثيرا في المتن الحكائي، يبرز ذلك من خلال الحقل الدلالي المنتمي للحجاج والاستدلال، تقول إلهام المتمسك عن هذا الحقل في خطب عباس الجراري: «ويتمثل ذلك في كثرة استعمال الخطيب للعبارات مثل: يقول قائل ــ سيقول قائل ــ لكن يزعم ــ سيأتي معترض ــ ويقول بل ــ وقد يأتي معترض فيقول ــ القضية طرحت طرحا مغلوطا»[1].

6 ــ أسلوب الاستشهاد وضرب المثل:

كما يحرص الخطيب على تنويع أدلته وشواهده، فيستحضر الآية القرآنية والحديث النبوي والمثل والبيت الشعري، وأقوال العلماء والفقهاء وآراء المفكرين الغربيين، والأوراق المقدمة في مؤتمرات أكاديمية المملكة المغربية، والمؤتمرات الدولية،إذ لا تكاد تخلو خطبة من خطب عباس الجراري المنبرية من شاهد، إما آية أو حديث نبوي أو قول صحابي أو عالم أو مفكر، والملاحظ في نوعية استشهاداته أنه يحرص على تنويعها، فيحضر في خطبه الشاهد على أشكال منها:

ــ القرآن والحديث،وهما أساس استشهاداته، لما لهما من سلطة عقدية لا تقبل نقاشا عند الغالب الأعم من متلقيه؛

ــ الشواهد التراثية، مثل الحكم والأمثال العربية والأبيات الشعرية، وأقوال الصحابة والعلماء والفقهاء؛

---

[1]ـ الخطاب الديني عند عباس الجراري المرجع والبنية، (م.س)،ص:483.

ـ أقوال المفكرين الغربيين، إما لتعزيز رأيه، أو لإبراز بطلان شبهة قالها أحد مفكريهم، فيستحضر قوله ليبطله ويظهر بطلانه؛

ـ الأوراق المقدمة للمؤتمرات الوطنية أو الدولية، والملاحظ أنها غالبا ما تكون مشاركات منه هو بنفسه، يلخصها ويقدمها موضوعا لخطبته؛

ـ الأرقام والإحصائيات، وهذا من أقوى الأدلة، ذلك لأنها ليست أقوالا يمكن مناقشة مضامينها، بل هي شواهد حاسمة قاطعة؛

ـ الشاهد الواقعي، مثل مقارنة بين حال المسلمين قديما وحالهم الآن، في العناية بالوقت وحب المعرفة والتعلم.

المطلب الثاني: التسلسل والتناسب الأسلوبي:

القارئ لخطب عباس الجراري، يلاحظ حرصه على أن يربط لاحق المعاني بسابقها، لتكون وحدة معنوية متسلسلة منسجمة، هذا التناسب يتجلى من خلال تناسب الخطبة مع واقعها، ثم تناسب المقدمة مع الموضوع، وتناسب الموضوع مع الخاتمة، وغير هذا مما يمكن رصده على الشكل التالي:

1 ـ التناسب بين مقدمة الخطبة وموضوعها:

المقدمة مفتاح الولوج للموضوع وفاتحة الكلام، وإتقان مطلع الخطبة شرط للنجاح فيها، ومن خلال تتبع مقدمات خطب عباس الجراري، نلاحظ حرصه على اختيار ألفاظها، وعلى أن تكون منسجمة مع موضوعها، وهذا يدل على أن الخطيب كان يخطط لمقدمات خطبه، كما يلاحظ حرصه على براعة الاستهلال، وهي تقنية خطابية أشار إليها الجاحظ بقوله نقلا عن أبي علي

القالي: «ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر، البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته»[1].

وعادة خطباء الجمعة أنهم إما أن يلزموا الاستفتاح بما يطلق عليه "خطبة الحاجة"، التي رواها أبو داود والترمذي، والتي كان الرسول يعلم أصحابه استفتاح خطبهم بها، وهذا الاستفتاح ليس فيه إشارة إلى موضوع الخطبة، إذ لا يعرف المتلقون موضوعها إلا بعد قوله: "أما بعد"، وهناك من يلتزم بالإشارة لموضوع خطبته في مقدمتها، فيميزون ــ مثلا ــ استفتاح خطبة النكاح عن استفتاح خطبة الحج، وهكذا يربطون مقدمة الخطبة بموضوعها، ويشوقون السامع من خلال إيراد ألفاظ أو جمل تدل على موضوع الخطبة في الكلمات الأولى من مقدمتها،

اختار الخطيب عباس الجراري السير على هذا النهج الثاني منذ أول خطبة خطبها، ــ وهو أمر أشارت إليه الأستاذة حميدة الصائغ في مقدمة الجزء الأول من ديوان خطبه ــ فتراه يشير إلى موضوع خطبته في أول كلمات ينطق بها بعد استفتاحه بعبارة الحمد لله، والأمثلة في هذا أكثر من أن تحصى، مثاله قوله مستفتحا خطبة حول "علاقة أركان الحج بالإسلام": «الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، جعل أركان الإسلام تكتمل بالحج إلى أفضل مقام»[2].

---

[1]ـ البيان والتبين، (م.س)، ص: 116.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 295.

فالفاتحة في هذه المقدمة قامت بدورين، الأول: بيان عنوان الخطبة وذكر اسمها وهو: "الإسلام وأركان الحج"، والثاني: ربط الخطبة بموضوعها،والذي سيناقش علاقة أركان الحج ببقية أركان الإسلام.

ومثاله كذلك استفتاحه خطبة حول التربية والتعليم بقوله: «الحمد لله، الذي هدانا لتربية الإسلام، وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعلنا بهذه التربية نحصن أنفسنا ومجتمعنا من الآفات والآثام والأوهام، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، معلم الأمة ومربي الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام»[1]، هذا الاستفتاح يجعل المتلقي مدركا لموضوع الخطبة، كما يقدم ملخصا لمضامينها.

2 ـ التناسب بين الخطبتين الأولى والثانية:

تتكون بنية خطبة الجمعة من خطبتين، بينهما جلسة استراحة، وقد حرص الخطيب على أن يربط بين الخطبة الأولى والثانية برابط، يجعل الخطبة الثانية مكملة للأولى أو ملخصة لمضامينها، اللهم إلا إذا استدعت أحداث ذلك الأسبوع الحديث عن مناسبة أو ذكرى خاصة،وحتى إن استدعت ضرورة الوقت هذا، فإن الخطيب يحرص على جعل موضوع الخطبة الأولى منسجما مع الذكرى التي سيتحدث عنها في الخطبة الثانية.

ومن أمثلة الانسجام بين الخطبة الأولى والثانية، الخطبة الواردة في ديوان الخطب بعنوان: "مفهوم السعادة في الإسلام"[2]، فقد جاء عنوان خطبتها

---

[1] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 170.

[2] ـ نفسه ص: 109.

الثانية: كيف نحقق السعادة؟"، وواضح من خلال النظر في العنوانين مدى التكامل بين فكرتيهما، والانسجام الحاصل بينهما.

3 ــ التناسب بين الخطبة والأدعية الواردة في ختامها:

يتكون الهيكل البنائي لخطبة الجمعة من أجزاء،تستفتح بعبارة "الحمد الله"، وتنتهي بأدعية جامعة لخيري الدنيا والآخرة،ويمتاز أسلوب الخطيب في اختيار الأدعية التي يختم بها خطبتيه الأولى والثانية، بانسجامها مع موضوع خطبته،إذ عادة ما يختم الخطبتين بأدعية تسأل الله تحقيق أمور وردت في الخطبة ذاتها، مثاله قوله في نهاية خطبة عنوانها "شرف مهنة التعليم": «فاللهم إنا ندعوك أن تبارك في جهود معلمينا، وأن تعينهم وتوفقهم، وتمدهم بالصدق والإخلاص والتفاني في عملهم»[1].

4 ــ التناسب بين الخطبة والآيات المقروء بها في الصلاة:

من الأمور المستحبة للإمام في صلاه الجمعة،أن يقرأ ببعض السور دون غيرها، يقول ابن عبد البر: «والقراءة في صلاة الجمعة بعد فاتحة الكتاب بسورة الجمعة في الركعة الأولى، وفي الثانية"سبح اسم ربك الأعلى"أو"هل أتاك حديث الغاشية"أو"إذا جاءك المنافقون"، كل ذلك مستحب أو بما شاء»[2].

وعبارة ابن عبد البر: «أو بما شاء»،تعطي الخطيب فسحة في أن يختار ما يشاء من آيات القرآن وسوره وهو يؤم الناس في صلاة الجمعة، ولعل حرص الخطيب على وحدة موضوع الخطبة وانسجام مكوناتها، وتذكير المتلقيين بموضوعها في كل جزء من أجزاء شعيرتها،هو ما جعله يختار بعناية ــ وهو

---

[1]ـ نفسه، ج1، ص: 168.

[2]ـ الكافي في فقيه المدينة المالكي،(م.س)، ص 71.

يؤم الناس بعد الخطبة ــ الآيات المناسبة لموضوع خطبته، حتى أصبحت عادة متبعة في أغلب خطبه، ومن أمثلة ذلك الآيات التي قرأ بها في ركعتي صلاة الجمعة التي كان عنوان خطبتها "بين التربية والتعليم":

ــ الركعة الأولى قرأ: الرحمن علم القران؛

ــ الركعة الثانية قرأ: اقرأ باسم ربك الأعلى[1].

5 ــ التناسب بين الخطبة وأحداث الأسبوع الذي ألقيت فيه:

أشارت الأستاذة حميدة الصائغ في تقديمها لديوان الخطب، إلى أن الخطيب كان يحرص على أن تكون مواضيع خطبه إجابة عن الأسئلة التي يسأله عنها الناس، أو حديثا عن مناسبة آنية: «ولا بأس أن أشير في عجالة شديدة، إلى أنه كان يتناول موضوعات الساعة إلى جانب المناسبات الدينية والوطنية، كما كان ينطلق في اختيار موضوع بعض خطبه من الأسئلة التي يوجهها بعض المصلين، ومن الاستفسارات التي يتلقاها هاتفيا أو في رسائل تسلم له بالمقصورة»[2].

والأمثلة من خطب عباس الجراري التي تؤكد التزامه بالإجابة على تساؤلات محيطه وواقعه ومناقشة أحداث الأسبوع الذي ألقيت فيه هي أمثلة أكثر من أن تحصى، مثاله قوله في بداية خطبة عنوانها "منطلقات الواقعية الإسلامية"، مبينا سبب اختياره موضوع الخطبة: «فبعد صلاة يوم الجمعة الماضي، جاءني شاب غيور يتقد غيرة وحماسا، وقال: إنه تلميذ في السنة السابعة، أي في قسم الباكالوريا، وطرح مجموعة من القضايا تتعلق بواقع

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 171.

[2]ـ نفسه، ص: 10.

المسلمين، قال: إن المسلمين اليوم يعيشون في واقع يغلي بالتناقضات والصراعات والنزاعات، وإنهم في وسط هذا الواقع الذي تتحكم فيه عوامل خارجة عن إرادتهم، يعانون نزاعا داخليا بين ذاتهم ومكونات هذه الذات، وبين الواقع الذي يعيشونه، وانتهى من هذه الملاحظات إلى أن الإسلام دين مثالي لا مجال لتطبيقه في الواقع»[1].

المبحث الثالث: حداثة اللغة والأسلوب في خطب الجراري:

المطلب الأول : مظاهر الحداثة في أسلوب الجراري:

التجديد في فن الخطابة ــ بنية وأسلوبا ــ ليس عملية سهلة، خصوصا وأن الخطابة العربية لم تعرف ــ عبر تاريخها الطويل ــ تطورات كبيرة، مقارنة بغيرها من فنون القول الأدبية،تقول إلهام المتمسك: « قام الدكتور عباس الجراري بجهد كبير لنقض شكل البناء التقليدي الذي سارت على الخطابة المغربية لمدة طويلة، ذلك أن الجهود التي نلمسها في متنه الخطابي، تشكل نقيض ما كنا نلمسه في نصوص الخطباء القدامى، بل وحتى المحدثين»[2].

ومن خلال تتبع لغة الخطيب وأسلوبه ومواضيع خطبه وطريقة بنائها، يمكن إبراز معالم هذا التحديث الخطابي، في المنجز الخطابي لعباس الجراري على الشكل التالي:

1 ــ أسلوب التدرج وتنامي الأفكار:

يهتم الخطيب عباس الجراري بهيكلة خطبه كثيرا، يبنيها على فكرة واضحة، ثم يقسم الفكرة إلى أفكار، إحداها تسلمك للأخرى، تجعل الفهم

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 57.

[2]ـ الخطاب الديني عند عباس الجراري المرجع والبنية، (م.س)، ص:576.

للفكرة ينمو ويطرد، حتى يكتمل في نهاية الخطبة، وهذا ديدنه وعادته، فلو أخذنا مثالا لهذا الأمر خطبة: "الإسلام ومعادلة الجسم والروح"، نراه يستهل خطبته بالإشارة إلى موضوعها بقوله: «الحمد لله الذي أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث»[1]، ثم يبدأ خطبته بذكر سبب اختياره لهذا الموضوع، «ففي أعقاب صلاة يوم الجمعة الماضي، جاء أخ كريم، واقترح علي موضوعا للتناول، وجاء أخ آخر باستفسار يعقب به على ما قلته في خطبة الأسبوع الماضي»[2]، ولأن كثيرا من القضايا يكون مفتاحها شرح مصطلحاتها ومفاهيمها، فقد بدأ نقاشه للموضوع بتصحيح المفاهيم، فوضح معنى آية يستشكل معناها على كثير من الناس، هذا الفهم المغلوط يجعلهم يعتبرون الدنيا فتنة محضة،ويسترسل الخطيب في التوضيح بذكر سبب نزول الآية الخاص، بعد هذا التوضيح ينتقل الخطيب لمستوى أعلى، وهو تغيير القناعات والأفكار عند بعض المتلقين، الذين يعتبرون الدنيا فتنة وضلالا دائما، يقول الخطيب: «(قل من حَرَّمَ زِينَةَ لله)[3]، صيغة الاستفهام التي تسمى في اللغة العربية: الاستفهام الإنكاري، كأنك تقول لأحد الأشخاص – شْكُون لِّي قَالْكْ أَسِيدي تْعْمل هذه القضية – الجواب بالنفي، قل من حرم هذه القضية؟ الجواب بالنفي، إذن، الله تعالى ينكر هذه القضية وينفيها»[4].

---

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص:82.

[2]ـ نفسه، ص: 82.

[3]ـ الأعراف، الآية 32.

[4]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 85ـ86.

2 ــ الاعتماد على السرد والحكي في عرض الأفكار:

السرد والحكي، ركنان أساسيان في البنية الأسلوبية لخطبة الجمعة، تستمد هذا من القرآن الكريم، الذي يحفل بقصص الأنبياء والصالحين والفراعنة والمفسدين، خصوصا في الجزء المكي منه، وإذا كان هدف القرآن هو التخفيف عن الرسولﷺ وصحابته، وتسليتهم بقصص السابقين وتثبيتهم أمام الرفض الذي قابل به أهل مكة الدعوة الإسلامية،فإن الأمر مستمر، إذ النفس البشرية تشتاق للسرد ليخرجها من رتابة التحليل الفكري الصارم، ثم ليثبتها على أخلاقها ومقدساتها الدينية والوطنية، أمام هول صدمات العولمة الجارفة، وكذلك ليربطها بالنموذج الأول،عبر سرد قصص الأنبياء والصحابة والسلف؛ وعباس الجراري في خطبه صار على نفس الدرب،حتى إن بعض خطبه تكاد تكون نصا سرديا من أولها إلى آخرها، خصوصا في الخطب التي تحكي عن المناسبات الدينية والوطنية،ومثاله خطبة "ذكرى 11 يناير"، حيث يحضر السرد من بداية الخطبة إلى نهايتها، ورغم كثافة الحضور وطغيانه، يبقى السرد خادما للفكرة ومساعد الخطيب على عرض الموضوع؛ يبدأ الخطيب السرد قائلا:«في المرحلة الجاهلية قبل الإسلام، وقف المغاربة صفا واحدا ضد المعتدين، وضد الطامعين، وضد القوى الكبرى التي كانت تطمح في احتلال بلادنا، وتاريخنا مع الرومان خير شاهد، ثم بزغ فجر الإسلام، فوجد المغاربة فيه بغيتهم، لأنه جاء بالتوحيد، وجاء بالحرية، وجاء موافقا لشخصية المغاربة، التي لا تبغي بالحرية بديلا»[1]، ويستمر الحكي إلى أن يصل إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي للمغرب،ليوضح أسباب كتابة عريضة المطالبة

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 142.

بالاستقلال، عبر سرد ظروف إنتاجها، يقول: «أما كتابة الوثيقة فقد قام بها مجموعة من الوطنيين بعد أن عرضوا مشروع الوثيقة على أنظار الملك المجاهد، وأخذوا رأيه في مضمونها، وفي صياغتها، وفي كيفية تقديمها، ولمن ينبغي أن تقدم، وأما تقديمها فقد تم الاتفاق على أن يكون ذلك يوم حادي عشر يناير»[1]، وتصل الحكاية إلى منتصفها، إلى العقدة التي تبحث عن حل لها، فيستعرض الخطيب ما نتج عن تسليم الوثيقة إلى الإقامة العامة من اعتقالات وسقوط شهداء، ثم نفي لملك البلاد؛ ولأن السرد خادم للفكرة التي تبنى عليها الخطبة، نجده يختم خطبه غالبا باستخلاص العبر والدروس من القصص المسرودة، مذكرا بالفكرة الأساسية في هذه الخطبة، وهي حب المغاربة للحرية،وسعيهم لها على مدى التاريخ.

3 ــ تجديد الأفكار عند إعادة نفس الموضوع:

الناظر في عناوين خطب عباس الجراري المنشورة، يلاحظ أن بعض الخطب شبه مكررة،ولعل الداعي إلى ذلك هو طول فترة ممارسته هذه الوظيفة، لأكثر من عشر سنوات، مما يستدعي إعادة بعض المواضيع الملحة أحيانا،إلا أن الخطيب يحرص في كل خطبة أعاد طرح نفس موضوعها أن يجدد أفكارها، ويزيد في رصيدها المعرفي، مع تجديد في الأسلوب وطريقة العرض،وتكرار بعض المواضيع يدل على راهنيتها وأهميتها في حياة الناس، كما يحضر التكرار بطرق أخرى، مثل تكرار الشواهد في الفقرة ذاتها، أو تكرار عبارات معينة، وذلك لترسيخ المعنى وتأكيده، ومثاله "خطبة الإسلام ومعادلة الجسم والروح"، حيث نراه يكرر الشاهد عدة مرات في بعض فقرات الخطبة، يقول: «(قل مَن حَرَّمَ

---

[1] ـ نفسه، ص: 144.

زِينَةَ ٱللَّه)[1]، صيغة الاستفهام التي تسمى في اللغة العربية: الاستفهام الإنكاري، كأنك تقول لأحد الأشخاص – شْكُون لِّي قَالْكْ أَسِيدي تْعْمل هذه القضية – الجواب بالنفي، قل من حرم هذه القضية؟ الجواب بالنفي؛ إذن، الله تعالى ينكر هذه القضية وينفيها: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)، هذه الزينة، لم يقل الله تعالى إنها زينة الشيطان، ولكن قال: (زِينَةَ اللّهِ)، أي أضافها إلى نفسه، ثم زاد في التعريف بها فقال إنه خصها للمؤمنين، وإنه أخرجها للمؤمنين، وأنها ستكون للمؤمنين وحدهم يوم القيامة»[2].

أما تكرار المعاني دون تكرار الألفاظ، فهو ملمح خطابي يرد كثيرا في المتن الخطابي لعباس الجراري، يبين تبحر الخطيب وسعة محفوظه المعجمي، كما يبرز جمالية أسلوبه الخطابي، يقول عن سبب احتفال المغاربة بعيد المولد: «نحتفل بالمولد الكريم لأننا نحب رسول اللهﷺ؛ نحبه لفضائله ومحامده وأخلاقه وسجاياه، ونحبه لهداية المسلمين على يديه، ونحبه لجهاده في سبيل الله وما تحمل من أجل ذلك، ونحبه لأنه شهيد علينا ونحن شهداء على الناس، ونحبه لأنه رسول اللهﷺ ومبلغ دعوته وخاتم رسالاته»[3].

4 ــ الأسلوب العلمي: العد والإحصاء:

الأسلوب العلمي، أسلوب يضفي على الخطبة المنبرية مصداقية وحداثة، ويجنبها اجترار نفس أساليب الخطباء السابقين، كما يجعلها مواكبة لأحداث

---

[1]ـ الأعراف، الآية 32.

[2]ـ خطب منبرية، ج1، ص: 84.

[3]ـ نفسه، ص: 78.

عصرها، ومستجدات واقعها،ولهذا راهن الخطيب على هذا الأسلوب، خصوصا في الخطب المتصلة بالقضايا الآنية، المتصلة بمواضيع التحديث والتقدم العلمي والتكنولوجي، ومن سمات هذا الأسلوب:

أولا: استشهاد الخطيب بأبحاث المعاهد الكبرى والمؤسسات الفكرية المعتمدة التي شارك فيها، مثل مشاركاته وأبحاثه في أكاديمية المملكة المغربية، ومثاله قوله: «فإنه تنعقد في هذه الأيام في بلادنا، وبالعاصمة الرباط ندوة كبرى عن التلوث والبيئة والتنمية»[1].

ثانيا: التدقيق في المصطلحات، وبيانه الفرق الدقيق بين المتشابه منها،ومثاله قوله موضحا الفرق بين الأصولية والغلو، في معرض حديثه عن تشبث المغاربة بمغربية الصحراء: «إننا بهذا المنحى أصوليون أي: fondamentalistes كما عبر صاحب الجلالة نصره الله في استجوابه الصحافي هذا الأسبوع، حيث فرق بين الأصولية وبين الغلو: L'intégrisme»[2].

ثالثا: حضور النسب المئوية والأرقام أثناء استشهاداته، ومن أمثلة ذلك تدقيق التواريخ، يقول: «وستحل ذكرى هذه المعركة بعد يومين، أي يوم رابع غشت وهو يوم حدوثها من عام 1578 وكان مصادفا متم جمادى الأولى 986 ه»[3].

---

[1]- نفسه، ج2، ص: 233.

[2]- خطب منبرية، ج3، ص:104.

[3]- نفسه، ص: 116.

5 ــ كسر أفق انتظار المتلقي:

غالبا ما تستجيب خطب عباس الجراري لانتظارات متلقيها، لكن قد يعمد الخطيب إلى كسر أفق التوقع،فيحضر عنصر المفاجأة، وذلك بتجاوز ما هو متعارف عليه في بناء الخطبة وفي أسلوب عرضها ومناقشتها للأفكار، ولعل أبرز مثال لهذا الكسر هو التعدد اللغوي، إذ لجأ الخطيب في بعض خطبه إلى استعمال عبارات ليست من اللغة المعتمدة داخل المتن الخطابي، أي اللغة العربية، يظهر هذا التعدد اللغوي في النص الخطابي على أشكال منها:

أ ــ استعمال ألفاظ أو عبارات بلغة أجنبية:

ومثاله توظيف الخطيب عبارات من اللغة الفرنسية أثناء نقاشه لمضامين كتاب: "Dieu et la science"، حيث نجده ترجم جملة من الكتاب، ثم أعقبها بالنص الأصلي الفرنسي قائلا: « ونخرج من الكتاب بنتيجة، هي التي لخصها الناشر في جملة قدمه بها، وهي للويس باستور، وتقول: بأن قليلا من العلم يبعد عن الله، ولكن كثيرا منه يعيد إليه=

«Un peu de science eloigne de Dieu, mais beaucoup y ramene.[1]»

ب ــ استعمال صيغ عامية:

تقول إلهام المتمسك عن دواعي نزول الخطيب إلى مستوى العوام، الذين هم جزء من متلقي خطابه: « ينبغي التأكيد أننا في الخطاب الديني المنطوق لا نكون أمام بلاغة العبارة، لأن فضاء المسجد" فضاء التلقي"، لا يسمح بتأويل العبارة القائمة على السجع، عكس الخطاب المكتوب، الذي يكون فيه المتلقي

[1]ـ خطب منبرية، ج1، ص:176.

في وضع يسمح له بالتأويل، ومعلوم أن حال المستمع ليس كحال القارئ»[1]، فيتوسل الخطيب باللسان الدارج من أجل التوضيح وزيادة درجة الإفهام، من ذلك قوله موضحا معنى الاستفهام الإنكاري: « صيغة الاستفهام التي تسمى في اللغة العربية: الاستفهام الإنكاري، كأنك تقول لأحد الأشخاص ــ شْكُون لِّي قَالْكْ أَسِيدي تْعْمل هذه القضية ــ الجواب بالنفي، قل من حرم هذه القضية؟»[2].

6 ــ وحدة الموضوع:

الحديث عن الوحدة الموضوعية في خطبة الجمعة صعب، وذلك راجع لكونها خطابا متعدد الأفكار، بين أمر بتقوى الله وطاعته وتحذير من عواقب الآثام والمعاصي، ثم لكونها كذلك تتكون من خطبتين، اعتاد كثير من الخطباء تخصيص كل خطبة بموضوع مغاير، إلا أن الخطيب عباس الجراري، حريص على أن تكون الخطبة موحدة بقدر المستطاع"، موضوع ينقسم إلى مسائل يربطها رابط واحد، هو الموضوع الذي اختاره عنوانا لخطبته، وحرصا منه على هذه الوحدة الموضوعية، نراه يربط بين الخطبتين برابط يوحد موضوعهما، حتى وإن احتاج للحديث في الخطبة الثانية عن موضوع مغاير آني أو ذكرى شهدها الأسبوع، حينها نرى الخطبة الأولى ممهدة لتلك الذكرى، وخادمة للأفكار التي تحملها، مثاله خطبة أولى عنوانها: "الدين واللغة أهم مكونات الهوية"، حيث جعل مسألة التعارف بين الشعوب مدخلا لها، مبينا، أن العلاقة بين الهويات يجب أن كون مبنية على الأخذ والعطاء المتبادل، بعدها وضح مكونات الهوية المغربية، رابطا بين اللغة العربية والقرآن، وموضحا التكامل بين الجانب

---

[1] ـ الخطاب الديني عند عباس الجراري المرجع والبنية، (م.س)، ص: 512.

[2] ـ خطب منبرية، ج1، ص: 84.

الديني والجانب اللغوي داخل الهوية المغربية، فاللغة موضحة للقرآن، والقرآن خادم للغة بمساهمته في الحفاظ عليها، وضمان بقائها.

في الخطبة الثانية، يستكمل الموضوع بمسألة عنوانها: «ضرورة حفظ اللغة»، بين فيها التكامل الذي كان في الواقع المغربي بين شطري الهوية: الدين واللغة، حين كانت الكتاتيب تعلم الدين واللغة معا، في آن واحد، من خلال تحفيظ النشء القرآن الكريم، يقول الخطيب: «جميل وجيد أن نحفظ القرآن الكريم على هذا النحو،وليس هذا هو ما نريد أن نتحدث عنه في هذه الخطبة، ولكن المحافظة على القرآن الكريم، ينبغي أن تكون مقرونة بالمحافظة على اللغة العربية، كي نحفظ القرآن الكريم، ينبغي أن نحفظ اللغة العربية، لأن هذه اللغة كما قلت، هي أساس من أسس إعجاز القرآن الكريم: « واللغة العربية مكون من هويتنا، إذ هي تشكل شخصيتنا ووجودنا،ومن دونها نحن لا شيء»[1]، ثم ليختم بحديث حول خطر عدم إتقان المتعلمين الحديث باللغة العربية، وهذا تصحيح لنظرة تعتبر اللغة العربية قاصرة عن استيعاب المصطلحات العلمية الجديدة لكونها لغة شاعرية، مبينا خطأ هذه النظرة، وقضية ربط حفظ الهوية بحفظ اللغة العربية من الهموم القافية التي تكلم عنها الدكتور عباس الجراري في كثير من كتبه ومحاضراته، يقول عن حفظ اللغة العربية وتأهيلها: «أما الفصحى فمحتاجة لكي تقوم بهذا الدور إلى معالجة تبدأ من توسيع متنها، بتطويره في اتجاه الحياة العادية وما يمارسه المواطن في يومه وبين أهله ومجتمعه، ثم تطويره في اتجاه مستحدثات العصر وما يجد فيه من اختراعات علمية وتقنية وحضارية، مما لم يعد الجهل به

[1]ـ خطب منبرية، ج2، ص: 98.

مقبولا، كما لم يعد مقبولا أن يتم الاعتماد فيه على لغة أجنبية أو لهجة عامية.

وهذا يستدعي الاجتهاد في إيجاد المصطلحات المواكبة لهذه المستحدثات، إما بالتعريب أو الاقتباس، مع مراجعة بعض القواعد النحوية والصرفية، ومن ثم تأهيلها لتكون لغة التعليم في جميع مراحله، بعيدا عن العشوائية والشعارات المفرغة التي كانت السبب في الفشل الذي يعانيه منذ الاستقلال، وكذا لتكون لغة الإعلام والإدارة والإعلان والتواصل ومختلف مجالات الحياة»[1].

اتضح لنا من خلال ما سبق بيانه في هذا الفصل الخاص بالقضايا الفنية المستنبطة من بعض خطب الدكتور عباس الجراري، أن اللغة الخطابية لعباس الجراري عرفت تجديدا وتحديثا، وذلك لأنها تميزت بخصائص، منها أنها:

ـ لغة واضحة، لا غريب فيها إلا ما جاء شاهدا؛

ـ لغة فصحى، محترمة لقواعد اللغة العربية نحوا وصرفا؛

ـ قليلة الأسجاع، إلا ما جاء قصدا في استفتاح أو دعاء.

أما الأسلوب الخطابي لعباس الجراري فله معالم وخصائص، منها:

ـ الحرص على احترام أصول الخطابة المتوارثة في هذا الباب؛

ـ أسلوب يجمع بين التبشير والإنذار؛

ـ أسلوب منسجم البنية، متناسق الأعضاء؛

ـ يأخذ من التراث الخطابي ما ينفع من أجل تحقيق الأثر الخطابي؛

ـ كما يستعمل تقنيات خطابية حديثة لاستمالة المتلقي.

---

[1] ـ من قضايا الهوية الوطنية، (م س)، ص: 42.

خاتمة

توصلت في بحثي هذا الذي يحمل عنوانا: " خطب منبرية للدكتور عباس الجراري: مواضيع فكرية وقضايا فنية"، إلى استنتاجات، سأجملها على الشكل التالي:

الجانب النظري:

ــ خطبة الجمعة شعيرة إسلامية، لها مكانة عظيمة في الإسلام، اعتنى بالتنظير لها الفقهاء وأهل اللغة والأدباء والمناطقة، كل يدلي بدلو تخصصه، وسبب ذلك، كونها تجمع بين كونها شعيرة تعبدية من جهة، وكونها جنسا أدبيا من جهة ثانية؛

ــ هنالك صلات وثيقة بين التعريف اللغوي وبين التعريف الاصطلاحي للخطبة، إذ هما معا يلتقيان في أن الخطبة مشتقة من الخطب الذي هو وقت أزمة يحتاج الناس خطيبا يلقي عليهم خطبة فيه؛

ــ أما الحد الفقهي للخطبة المنبرية فله كذلك صلة بالتعريفين: اللغوي والاصطلاحي، إذ اشترط الفقهاء في خطبة الجمعة أن تكون خطبة مما تسميه العرب خطبة؛

ــ تذكر كتب تاريخ الأدب المغربي، ما كان لخطبة الجمعة من حضور بارز بين أجناس الأدب العربي في المغرب، وقد تعددت اهتمامات الخطباء، فكتبوا الخطب الدينية والسياسية والإصلاحية؛

ــ عرف تاريخ المغرب خطباء كثرا، طارت شهرتهم في الآفاق، كما تركوا نصوصا خطابية تدل على المستوى الذي وصلت إليه الخطابة في عصرهم، حتى أضحت خطب بعضهم قضايا أدبية معروفة عربيا ودوليا، مثل قضية خطبة طارق بن زياد؛

ـ عرفت الخطبة المنبرية في العصر الحديث بعض التراجع، لأسباب شتى، مثل غياب التكوين الكافي، وعدم تبلور مدرسة خطابية متكاملة معاصرة، وكذلك لعدم مواكبة النقد لما ينشر من خطب، وليس من الصعب قيام نهضة للخطابة المغربية، متى توفرت شروط نهضتها، التي من أهمها العناية بنشر الخطب، والمواكبة النقدية، والتكوين الأكاديمي لخطباء الجمعة؛

ـ شخصية الخطيب: الدكتور عباس الجراري، شخصية موسوعية، كتب مؤلفات كثيرة في الأدب والفكر والنقد، استمدت شخصيته تألقها من شخصية الوالد الفقيه الأديب عبد الله الجراري، وكذلك من جهد شخصي نال بهما عمادة الأدب المغربي، كما كان له جهد تعليمي أكاديمي بارز، وهذه أمور ساعدته على تكوين نص خطابي له فرادته وتميزه؛ ويزيد في فرادته وتميزه أنه نص مرتجل غير مكتوب.

الجانب التطبيقي:

ـ المواضيع التي حرص الخطيب عباس الجراري على الرقي بها فوق منبر الجمعة لمناقشتها، تمتاز بكونها مواضيع لها علاقة مباشرة بقضايا الناس، ترشد للعمل من أجل التقدم الحضاري في الدنيا، ومن أجل النجاة في الآخرة؛

ـ مواضيع تسعى للتعليم أولا، عبر نشر المعلومة العقدية والفقهية والتاريخية والفكرية المعاصرة؛

ـ كما تميزت هذه النصوص بحرصها الشديد على تقويم الأخلاق، ووصف مظاهر الخلل العقدي والفكري والاجتماعي والاقتصادي، مع اقتراح حلول لنهضة الفرد والوطن والأمة، بما لا يخالف ثوابت الدين الإسلامي؛

ـ تنقسم المواضيع الفكرية التي ناقشها الخطيب الدكتور عباس الجراري من فوق منبر مسجد للا سكينة بالرباط، إلى مواضيع دينية، ومواضيع

تاريخية، ومواضيع واقعية: إما محلية مغربية، أو قومية عربية، أو مواضيع عالمية؛

ــ حظيت قضية الشبه المثارة حول الإسلام وقيمه ومنظومته العقدية والفكرية بنصيب وافر من مواضيع الخطيب، لهذا خصص خطبا عديدة للرد على المخالفين، والمشككين في الإسلام وقيمه؛

ــ الخطيب له حرص واضح على ثوابت الأمة المغربية: الدينية واللغوية والسياسية.

أما من ناحية اللغة والأسلوب، فقد جمعت الخطابة الجرارية بين ما هو تراثي بنية ولغة وأسلوبا، وبين ما استجد من نظريات خطابية في علم الخطابة والتأثير في الناس؛

ــ لغة الخطيب لغة تتماشى مع عصرها، واضحة لا غريب فيها، لا تغرق في المحسنات اللفظية، إلا ما كان ضروريا، مثل بعض الأسجاع الخفيفة دون تكلف؛

ــ يحرص الخطيب عباس الجراري على ثوابت الخطابة العربية عموما، وعلى الشروط الفقهية للخطبة المنبرية خصوصا، مثل تقسيمها إلى خطبتين، والاستهلال، واشتمالها على الأمر بالتقوى، والختم بالدعاء؛

ــ يستعمل الخطيب في خطبه تقنيات خطابية حديثة، فينوع الحجج ويكثر منها، كما يستدرج المخالف للنقاش بأسلوب هادئ؛

ــ يحضر الجانب الأدبي كثيرا في الخطابة الجرارية، لغة وأسلوبا، ومثاله الإكثار من السرد أثناء عرض الأفكار؛

ــ يحرص الخطيب على استعمال اللغة العربية الفصحى غالبا، لكنه قد يلجأ لاستعمال اللهجة المغربية، فيستعمل صيغا شفهية عامية لغرض التوضيح؛

ــ كما قد يلجأ لاستعمال ألفاظ أو عبارات بلغة أجنبية إن استدعى المقام ذلك.

ــ أسلوب الخطيب عباس الجراري أسلوب متناسق الأعضاء، منسجم البناء، يجمع بين تبشير الناس وإنذارهم؛

ــ يسعى الأسلوب الخطابي لتحقيق التواصل مع المتلقين، ولتحقيق ذلك يتوسل بما استجد من أساليب التأثير الخطابي، مع حرص على احترام أصول الخطابة العربية.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1 - المصادر:

ـ ب ـ

ـ البيان والتبيين / الجاحظ / تحقيق عبد السلام هارون / مكتبة الخانجي/ القاهرة / ط 7 / 1998.

ـ ت ـ

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي/ تحقيق علي شري/ دار الفكر / 1994.

ـ خ ـ

ـ الخطابة لأرسطو، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الرشاد للنشر، 1980.

ـ خطب منبرية : عباس الجراري ـ الجزء الأول / جمع وتفريغ وتحقيق : إلهام المتمسك/ منشورات النادي الجراري ـ 35 ـ / دار السلام / الرباط / ط 1 / 2012.

ـ الجزء الثاني / جمع وتفريغ وتحقيق : إلهام المتمسك/ منشورات النادي الجراري ـ 60 ـ / دار السلام / الرباط / ط 1 / 2014.

ـ الجزء الثالث / إعداد : خديجة العسري/ منشورات النادي الجراري ـ 78 ـ / دار السلام / الرباط / ط 1 / 2018.

ـ س ـ

ـ سنن ابن ماجة/ أبو عبد الله محمد بن ماجة / دار النوادر/ دمشق/ ط1/ 2013.

ـ ص ـ

ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ 1991.

ـ م ـ
ـ المصباح المنير/ أحمد الفيومي/ دار القدس / القاهرة / 2008.
ـ معجم المقاييس في اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس/ حققه : شهاب الدين أبو عمرو/ دار الفكر / بيروت/ ط 1/ 2011.

2 -المراجع:

ـ أ ـ
ـ أحاديث عن الأدب المغربي الحديث : عبد الله كنون / دار الثقافة / الدار البيضاء/ دار الثقافة /ط 3/ 1981.
ـ الأدب المغربي/ محمد بن تاويت، محمد الصادق عفيفي/ دار الكتاب اللبناني/ ط2/ 1969.
ـ الأدب المغربي الحديث والمعاصر أسئلة وقضايا/ كتاب جماعي/ نشر مشترك: النادي الجراري رقم 93 وماستر: الأدب العربي بالمغرب الحديث والمعاصر التاريخ والخطاب/ دار أبي رقراق للطباعة والنشر/ ط1/ 2020.
ـ الأساس في الدعوة والخطابة : عبد الرحمان البوكيلي/ طوب بريس / الرباط/ ط1/ 2006.
ـ الإسلام واللائكية : عباس الجراري / مطبعة الأمنية / الرباط / ط2003/1.
ـ الإصلاح المنشود : عباس الجراري/ مطبعة الأمنية / الرباط / ط1 / 2005.
ـ ب ـ
ـ البلاغة والأسلوبية : محمد عبد المطلب / مكتبة لبنان ناشرون / ط 1/ 1994

ـ ت ـ
ـ تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات / دار الشرق العربي / لبنان / ط جديدة.
ـ تجديد الخطاب الديني : محمد عباس عبد الرحمان المغني/ 2017.
ـ التعريفات: أبو الحسن الجرجاني، دار الكتب العلمية / ط1/ 2000.
ـ ث ـ
ـ الثقافة من الهوية إلى الحوار / عباس الجراري / المعارف الجديدة/ الرباط / ط 1/ 1993.
ـ ج ـ
ـ جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي / دار التقوى/ طبعة جديدة/ القاهرة / 2017.
ـ ح ـ
ـ الحرية والأدب: عباس الجراري/ مطبعة الأمنية/ المغرب/ ط1/ 1971.
ـ حلية الأولياء في معرفة مذاهب الفقهاء: محمد الشاشي القفال ج 2 / دار الباز / ط1/ 1988.
ـ خ ـ
ـ الخطابة عند العرب : محمد الخضر حسين / تحقيق ياسر بن حامد المطيري / دار المنهاج / الرباط/ ط1/ 1433ه.
ـ الخطاب الديني عند الدكتور عباس الجراري، المرجع والبنية : إلهام المتمسك / منشورات النادي الجراري ـ 42 ـ مطبعة الأمنية / الرباط / ط1/ 2008.
ـ الخطب المنبرية في الجمع والأعياد والكسوف والاستسقاء السنوية: أبو عبد الله أحمد الرهوني / طبعة بدون ذكر المطبعة أو سنة النشر.

ـ الخطيب وواقع الأمة : مصطفى بن حمزة / مكتبة الطالب / وجدة/ 2001.

ـ د ـ

ـ دليل الإمام والخطيب والواعظ: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / المملكة المغربية/ مطبعة النجاح الجديدة / الدار البيضاء/ 2007.

ـ الدولة الإسلامية بين النظامين الديني والمدني: عباس الجراري/ مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع/ ط1/ 2014.

ـ دين وسياسة: عباس الجراري/ منشورات دار النادي الجراري ـ 71ـ/ مكتبة دار السلام للطباعة والتوزيع/ الرباط/ ط1/ 2017.

ـ ز ـ

ـ زهرة الآس في فضائل العباس:الجزء الأول / مطبعة دار المناهل / 1997.

ـ ع ـ

ـ العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري- شخصيات مغربية 7 : عباس الجراري/ ط1/ 1985.

ـ عباس الجراري شاعرا: إعداد وتنسيق وتقديم محمد حميدة / دار أبي رقراق / الرباط / 2018.

ـ عهد الوفاء، تأبين فقيد الدين والعلم والوطنية، عبد الله بن العباس الجراري رحمه الله/ دار النجاح الجديدة/ الدار البيضاء/ 1983.

ـ ف ـ

ـ الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة الزحيلي ج 2/ دار الفكر/ ط 3 / 1983.

ـ فن الخطابة : ديل كارنيجي/ الأهلية / ط1 / 2001.

ـ فن الخطابة وإعداد الخطيب: علي محفوظ/ دار الاعتصام،بدون ط ولا سنة نشر.

ـ في بلاغة الخطاب الإقناعي : محمد العمري / إفريقيا الشرق / ط2 / 2002.

ـ ق ـ

ـ قضايا للتأمل برؤية إسلامية: عباس الجراري/ منشورات النادي الجراري رقم 45/ مطبعة الأمنية/ ط1/ 2008.

ـ قيم النهوض الحضاري للعالم الإسلامي من خلال آثار الدكتور عباس الجراري: تنسيق وإخراج : مصطفى الجوهري/ دار أبي رقراق / الرباط/ ط1/ 2019.

ـ ك ـ

ـ الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: يوسف بن عبد البر القرطبي/ دار الكتب العلمية/ ط2/ 1992.

ـ م ـ

ـ متن السلم المرونق في علم المنطق / عبد الرحمان الأخضري/ دار السلام / مصر / ط1 / 2014.

ـ مختصر خليل : خليل بن إسحاق المالكي / المكتبة المالكية / ط 1981.

ـ مظاهر يقظة المغرب الحديث : محمد المنوني/ الجزء الأول/ دار الغرب الإسلامي / بيروت/ شركة المدارس / الدار البيضاء/ ط2 / 1985.

ـ من قضايا الهوية الوطنية: عباس الجراري/ منشورات النادي الجراري 58/ مكتبة دار السلام/ الرباط/ ط1/ 2013.

ـ ن ـ

ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي : عبد الله كنون،(في مجلد واحد)/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط2/ 2015.

ـ نفحات ولفحات: محمد العمراوي/ ج1/ مطبعة شمس/ ط1/ 2019.

المجلات والدوريات:

ـ نشرة الأئمة والخطباء / ع 12/ 2005.

المواقع الإلكترونية:

habous.gov.ma-.

abbesjerari.com-

فهرس المحتويات

تصدير 13
مقدمة 19
المبحث الأول: الخطابة، أنواعها وأهميتها: 27
1 ـ مفهوم الخطابة : 27
2 ـ أنواع الخطابة وتاريخها ومكانتها: 30
المبحث الثاني: الخطبة المنبرية بالمغرب: 33
1 ـ الخطبة المنبرية: المفهوم اللغوي والحد الفقهي: 33
2 ـ التعريف بالخطابة المغربية: 35
الواقع الحديث والمعاصر للخطابة المغربية: 40
المبحث الثالث: ترجمة عباس الجراري: 47
1 ـ نسب الأسرة الجرارية: 47
2 ـ عباس الجراري: 47
المبحث الأول: مواضيع دينية: 57
توطئة: 57
المطلب الأول: موضوعات العقيدة والإيمان: 57
1 ـ حقيقة الإيمان: 57
2 ـ مزايا العقيدة الإسلامية: 59
3 ـ الإيمان بالقضاء والقدر: 61
4 ـ حوار العقيدة مع الغرب: 63
5 ـ الوجود الإنساني في الإسلام: 65

6 ـ معجزة الإسراء والمعراج: 66
7 ـ الإيمان والصحة: 68
8 ـ بين الإيمان والعلم: 69
9 ـ الإيمان والسعادة: 71
10 ـ العقيدة الإسلامية هوية: 72
المطلب الثاني: العبادات الإسلامية، قداسة الزمان والمكان: 74
1 ـ قدسية الأمكنة: 75
2 ـ قدسية الزمان: 78
المطلب الثالث: الإسلام، تزكية وأخلاق ومعاملات: 80
1 ـ الاستقامة والصدق: 80
2 ـ الأمانة: 81
المطلب الرابع: النظام الاقتصادي والسياسي في الإسلام: 82
1 ـ النظام الاقتصادي الإسلامي وثنائية الرأسمالية والاشتراكية: 82
2 ـ الموازنة بين الحاجات المادية والروحية في الإسلام: 84
3 ـ تنظيم العلاقات المالية: 86
4 ـ الجانب السياسي في الإسلام: 87
5 ـ كرامة الإنسان من منظور إسلامي: 89
6 ـ الديمقراطية والحكم الراشد: 90
7 ـ العلاقات الدولية، والتسامح مع غير المسلمين: 91
المبحث الثاني: مواضيع تاريخية: 92
توطئة: 92

المطلب الأول: السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: 93
1 ـ السيرة النبوية : أحداث وعبر: 93
2 ـ ذكرى المولد ومشروعية الاحتفال بها: 94
3 ـ قضية البيعة النبوية، الذكرى والعبرة: 96
4 ـ بيعة العقبة: 96
5 ـ بيعة الشجرة: 97
6 ـ الغزوات : وقائع وعبر: 97
7 ـ إنسانية محمد وعفوه بعد المقدرة: 100
المطلب الثاني: التاريخ الوطني: 100
1 ـ قضايا ملحمة الاستقلال: 101
2 ـ مخاض فجر الاستقلال : 106
3 ـ قضية الصحراء المغربية: 108
4 ـ الجيش المغربي: 111
5 ـ ذكرى عيد العرش: 113
المبحث الثالث: مواضيع واقعية: 117
توطئة: 117
المطلب الأول: واقعية الإسلام، وواقع المسلمين: 118
1 ـ أسس الواقعية الإسلامية ومظاهرها: 119
2 ـ واقع المسلمين المعاصر: 120
3 ـ أزمات الواقع الإسلامي وأسباب تأخره: 121
4 ـ أسس تقدم العالم الإسلامي: 122

المطلب الثاني: شبهات من الواقع الإسلامي والرد عليها: 123
1 ـ حق الاختلاف في الإسلام: 123
2 ـ لا إكراه في الدين: 124
3 ـ نظرة الإسلام إلى الحرب والسلم: 124
4 ـ الحرية: نظرة إسلامية: 125
5 ـ المرأة قبل الإسلام وبعده: 126
المطلب الثالث: موضوعات من الواقع المحلي المغربي: 127
1 ـ الهوية المغربية وقضية التشبه بالغرب: 127
2 ـ الدين واللغة، وضرورة الحفاظ عليهما: 129
3 ـ الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي: 131
4 ـ قضية التربية والتعليم: 133
5 ـ الإسلام ومشكلات البيئة: 135
المبحث الأول: اللغة الخطابية خصائصها ومكوناتها: 141
المطلب الأول: خصائص اللغة في خطب الجراري: 141
1 ـ الوضوح والبعد عن التكلف: 141
2 ـ السجع ومدى حضوره: 143
3 ـ احترام قواعد اللغة والنحو: 144
4 ـ حضور اللهجة المحلية: 144
المطلب الثاني: الحقول المعجمية في خطب الجراري: 145
1 ـ المعجم الديني والإصلاحي: 145
2 ـ المعجم التاريخي: 146

3 ـ المعجم الواقعي المعاصر: 147
4 ـ الألفاظ وتلويناتها: 149
المبحث الثاني: الأسلوب الخطابي عند عباس الجراري: 151
المطلب الأول: تنوع الأساليب في خطب الجراري: 151
1 ـ براعة الاستهلال أو التشويق في المقدمات: 151
2 ـ بلاغة الخاتمة وحسن الختام: 153
3 ـ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة: 154
4 ـ أسلوب الإنذار والتحذير: 155
5 ـ أسلوب الحجاج: 156
6 ـ أسلوب الاستشهاد وضرب المثل: 156
المطلب الثاني: التسلسل والتناسب الأسلوبي: 157
1 ـ التناسب بين مقدمة الخطبة وموضوعها: 157
2 ـ التناسب بين الخطبتين الأولى والثانية: 159
3 ـ التناسب بين الخطبة والأدعية الواردة في ختامها: 160
4 ـ التناسب بين الخطبة والآيات المقروء بها في الصلاة: 160
5 ـ التناسب بين الخطبة وأحداث الأسبوع الذي ألقيت فيه: 161
المبحث الثالث: حداثة اللغة والأسلوب في خطب الجراري: 162
المطلب الأول : مظاهر الحداثة في أسلوب الجراري: 162
1 ـ أسلوب التدرج وتنامي الأفكار: 162
2 ـ الاعتماد على السرد والحكي في عرض الأفكار: 164
3 ـ تجديد الأفكار عند إعادة نفس الموضوع: 165

4 ـ الأسلوب العلمي: العد والإحصاء: 166
5 ـ كسر أفق انتظار المتلقي: 168
6 ـ وحدة الموضوع: 169
خاتمة 173
لائحة المصادر والمراجع 177